



محمد الجواهري

التحديات الانقلاية الهيكلية تحليلات موضوعية للثورة المضادة



التشوهات الانقلابية الهيكلية
تحليلات موضوعية للسورة المضادة

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى 2016

رقم الايداع
05412/2016
الترقيم الدولي
978-9954-690-34-5



كسوب بريس
للصباغة والنشر والتوزيع

العنوان: 16. زنقة كلكوتة، العميص. الرياض

toppress2@gmail.com

د . محمد الجوّادِي

التَّشَوُّهَاتُ الْاِنْقِلَابِيَّةُ الْهَيْكَلِيَّةُ
تَحْلِيْلَاتٌ مَوْضُوعِيَّةٌ لِلسُّورَةِ الْمُضَادَّةِ

إهداء

إلى الصديق الكريم

الدكتور هشام الطوخي

مع صادق الود

هذا الكتاب

نرصد في هذا الكتاب أبرز التشوهات الهيكلية التي تصحب الانقلاب العسكرية وتصبح في سرعة بالغة جزءاً من كيائها الحاكم ؛ وسمّة لأدائها المضطرب .

ونستقصي في هذا الكتاب من خلال وقائع التاريخ طبيعة نشأة هذه التشوهات وتحوّرها وتعييقها للوظائف الحيوية ثم سيطرتها على الصورة المنطبعة ؛ وعلى السلوكيات المنفصلة .

ونبدأ في الباب الأول بالحديث عن الاضطراب الذي تحدّثه الانقلابات العسكرية في ثلاثة مفاهيم جوهرية من خلال ثلاثة فصول متتالية تصف فكرة اللاشريعة (الفصل الأول) واللاإنجاز (الفصل الثاني) واللااستقرار (الفصل الثالث)

وفي الباب الثاني بفصوله نتناول التشوهات الثلاثة الكبرى التي يحدثها الانقلاب في الحياة السياسية بما ينشئ به سريعا مناخ الانقلاب والحياة الانقلابية وهو ما يتجلى في القضاء التام على الحياة الديموقراطية ؛ وما يصحبها من حياة حزبية ؛ وما تستلزمه من الشفافية وحرية الإعلام والصحافة .

نضئ في باب ثالث العلاقة العضوية للانقلابات بما ينشأ عنها من فشل اقتصادي يوظفه الانقلابيون لمصالحهم قصيرة النظر (في الفصل السابع) وبما يصحبها من نزيف الدم المستمر (في الفصل الثامن) وما يستتبع هذا وذاك من لجوء الانقلابات إلى ظاهرة توظيف صناعة إرهابية تتولاها هي من أجل الإفادة من ظاهرة كنت أول من وصفها بأنها ظاهرة الاستشمار في الإرهاب (الفصل التاسع) .

وفي باب رابع نستعرض ما يصحب الانقلابات العسكرية ويلازمها ويلزمها من تمزق حاد وعميق في النسيج الاجتماعي من خلال عملها الدائب والمنطقي (!!) على سرعة إنهاء وجود نشاط المجتمع المدني (الفصل العاشر) وعلى تمزيق مقومات النسيج الاجتماعي (الفصل الحادي عشر) وعلى تسريع وتيرة الفتنة الطائفية وتهديد مستقبل الأقليات (الفصل الثاني عشر) .

و نجيب في الباب الخامس إجابات صريحة عن طبيعة المستقبل غير المتوقع عند من يعيشون أو هامهم في حاضر يتمنون تطويعه بينما هو يكشر لهم عن أسوأ مستقبل يواجههم حين تنتهي بصورة تلقائية كل ملامح ومزايا الحياة العسكرية مع حلول ظلال حكم العسكر (الفصل الثالث عشر) و تنامي جاذبيات الحنين إلى استدعاء نماذج مقيمة من قبيل النموذج الناصري بعسفه وبطشه وظاهرياته الزائفة (الفصل الرابع عشر)

وهذا الكتاب شأنه شأن معظم كتاباتي لا يفعل أكثر من أن يسكب بعض الضوء على الأحداث التي تتوالى أمام القراء، وأن يتولاها بالتحليل والترتيب والتبويب والمدارسة والمراجعة والنقد.

وكلي دعاء إلى الله أن يوفقني إلى تقديم أخوة هذا الكتاب في الأيام القادمة إن شاء الله، وقد طال العهد بتجارها المطبعية علي مكتبي أو بالأحرى علي مكاتبي هنا وهناك وهنالك، والوقت لا يسعني، والجهد يتضاءل، والعمر قصير، ولكن أملي في الله كبير.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يقيني شر الهوى، وأن يقيني شر التعجل، وأن يقيني شر الانخداع، وأن يتجاوز عن سيئاتي، وأن يتغمدي برحمته، وأن يديم عليّ توفيقه، وأن يجعلني قادرًا على شكر فضله.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهديني سواء السبيل، والله سبحانه وتعالى أسأل أن يذهب عني ما أشكو من ألم ووصب وقلق، وأن يحسن ختامي، وأن يجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاه.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يمتعني بسمعي وبصري وقوتي ما حييت، وأن يحفظ

عليّ عقلي وذاكرتي، وأن يجعل كل ذلك الوارث مني .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهديني سواء السبيل، وأن يرزقني العفاف والغني، والبر والتقّي، والفضل والهدى، والسعد والرضا، وأن ينعم عليّ بروح طالب العلم، وقلب الطفل الكبير، وإيمان العجائز، ويقين الموحدين، وشك الأطباء، وتساؤلات الباحثين.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يعينني علي نفسي، وأن يكفيني شرها، وشر الناس، وأن يوفقني لأن أتم ما بدأت، وأن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن يمكنني من القيام بحق شكره وحمده وعبادته، فهو وحده الذي منحني العقل، والمعرفة، والمنطق، والفكر، والذاكرة، والصحة، والوقت، والقدرة، والجهد، والمال، والقبول، وهو جلّ جلاله الذي هداني، ووفقني، وأكرمني، ونعمّمني، وحبب فيه خلقه، وهو وحده القادر علي أن يتجاوز عن سيئاتي وهي - بالطبع وبالتأكيد - كثيرة ومتواترة ومتنامية، فله سبحانه وتعالى - وحده - الحمد، والشكر، والثناء الحسن الجميل.

د. محمد الجوادي



الباب الأول
تغيب الشرعية
والإنجاز والاستقرار

الفصل الأول في شرعية الإجراءات الانقلابية

١

تكتسب تصرفاتنا الإدارية الاقتصادية وجودها وشرعيتها والاعتراف بها من موافقتها للقانون والعرف والأخلاق.

وينطبق هذا على أقل التصرفات شأنًا من قبيل اختيارنا للوقت الذي نرسل فيه تهانينا إلى معارفنا، فلا يُعقل مثلا أن نبعث بتهنئة عيد ميلاد لصديق في ذكرى يوم ميلاد جده ونتعلل بأن جده هو السبب في وجود أبيه، ومن ثم في وجوده هو، إذ يصبح الأمر عندئذ مدعاة للسخرية لا التعجب فحسب.

من هذا المثل البسيط نستطيع أن نفهم الفارق الجوهرى بين المشروعية والشرعية وارتباطها ببعض، فليس من حق أي إنسان كائنا من كان، وليس من حق كيان كائنا ما كان أن يفرض سلطته في إجراء انتخابات مبكرة أو مبتكرة، أو مؤخرة أو متأخرة، وإنما يناط الأمر حتى في إنفاذ الانتخابات في موعدها القانوني المقرر بسلطة محددة تتولى الدعوة إلى الانتخابات وربط مواعيدها ومقارها.

ويحدد القانون السلطة المنوط بها إجراء هذه الخطوات بحيث لا يصبح الأمر مشاعا، وتحرص الديمقراطيات المحترمة على هذا التحديد حرصا شديدا في كل ما يتعلق بالنشاط الإنساني، حتى أن القانون المصري يجعل المسؤولية عن انتخابات النقابات في عنق وزراء محددين بمناصبهم.

فوزير الأشغال مثلا هو المسئول عن انتخابات المهندسين على سبيل الحصر، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتصدى وزير الإسكان لهذه المسؤولية تحت أية دعوى منطقية من قبيل أن عدد المهندسين النقابيين العاملين في وزارته يفوق العدد الذي في وزارة الأشغال، فذلك أمر لا علاقة له بالقانون إلا أن يتغير نص القانون لينقل هذه المسؤولية إليه حتى وإن لم يكن عدد رؤوسيه من النقابيين أكبر من عدد نظرائهم في وزارة الأشغال.

٢

ينطبق هذا بالطبع على الانتخابات الرئاسية التي تمضي خطواتها الشكلية في مصر على نحو كوميدي يسر العدو ويؤذي أبناء الوطن في مشاعرهم، حين يكتشفون أن كتب التاريخ ستكتب أن قائد جيشهم راودته فكرة الترقى من وزير إلى رئيس جمهورية، ولأنه يعلم افتقاده إلى الصفات المؤهلة لترشحه في الانتخابات القادمة بعد سنوات ثلاث، فقد قرر أن يستولي على المنصب بالقوة وأن يستغل الجنود الخاضعين لأوامره في تقييد حرية الرئيس الشرعي وحرركته، وأن يتظاهر بأنه لا يرغب في سلطة، وأن يمضي بعض الوقت وهو يدير الأمور من وراء ستار حتى يقتنع الناس أو يتعودوا على غياب الرئيس والشرعية وعلى وجوده هو في موقع الأمر والنهي، ومن ثم تكتسب شرعيته قيمتها ومشروعيتها من مشروعية الاضطرار إلى الأمر الواقع المقيت.

وهو أمر واقع ضعيف يفرض نفسه بمعونة الدبابة وسطوتها، ولا يمانع أن يكون هذا الفرض عن طريق القتل والسحل والحرق والحبس والاضطهاد والتآمر والاعتصاب والانتهاك دون ضابط من قانون أو خلق أو دين أو تقاليد أو أعراف أو تاريخ.

٣

ومن العجيب أن هذا الانقلاب العسكري الذي تعيشه مصر اليوم لم يكن أول انقلاب دستوري تمتحن به البلاد، وإنما سبقته علي سبيل المثال ثلاثة انقلابات دستورية في عهد الملك فؤاد حدثت على التوالي أعوام ١٩٢٥ و ١٩٢٨ و ١٩٣٠ ونحي فيها الدستور جانبا، وجاءت إرادة القمع وإدارته تحاولان تأسيس مشروعية للقوة الغاشمة المتغطرة دون جدوى أو نجاح.

وقد حدث هذا في عصر لم يعرف ثورة معرفية، ولا انتشار وسائل التواصل الاجتماعي، ومع هذا نجح الشعب الأعزل في فرض إرادته واستعادة شرعيته وإضفاء مشروعيته وإجراء انتخابات شرعية أعوام ١٩٢٦ و ١٩٢٩ و ١٩٣٠ انتهت الانقلابات وأعادت الشرعية إلى مسارها الطبيعي مرة أخرى.

ومن الإنصاف أن نشير إلى أن المواطن البسيط يفهم معنى الديمقراطية بأفضل كثيرا

جدا مما فهمه من يطلقون على أنفسهم الألقاب الموحية بالمعرفة أو الخبرة من أولئك الذين وجدوا أن مكسبهم يكمن للأسف في الكفر بما يدعون إليه، وفي تحريف الكلم عن مواضعه.

وقد وصل بهم الضلال في هذا المقام إلى أن قالوا إن الديمقراطية ليست صندوق انتخابات وإن الشعب ليس مصدر السلطات وإن إرادة المشير فوق إرادة صاحب الشأن.

٤

وقد تعددت الدوافع وراء انتهاج أنصار الثورة المضادة لهذا المسلك ما بين منفعة مادية مباشرة أو الخوف على مصلحة مادية قائمة أو كراهية للإسلام أو الدين أو الإخوان أو كراهية الشعب أو الجماهير أو الأصوات أو الخوف من إذاعة فضيحة مسجلة أو موثقة أو إظهار صورة نقيضة للصورة التي يعيش صاحبها عليها من قبيل فجور الشيخ أو شبق القسيس أو شذوذ المستر جل أو بغاء الناشطة. وهو أسلوب لا يزال يصب في مصلحة أجهزة قديمة بعث الانقلاب الروح فيها.

مع كل هذا العبث والوضع الاستثنائي فإن الحديث عن مسيرة خارطة الطريق يبدو مثيرا للسخرية، ذلك أن الخريطة إذا سارت لا تصل إلى الهدف فليس هذا شأنها وإنما شأنها أنها خريطة منبئة عن المسار، وعن أن هذه الخطوة قبل تلك، وأن تلك بعد هذه.

٥

وفي هذا الإطار الواضح فإن ما حدث في الانقلاب العسكري شبيه تماما بأن أطلب من سائق التاكسي أن يوصلني إلى هدف معين فيقف بالتاكسي في مكانه ويشير بعد دقائق إلى نقطة على الخريطة، وبعد دقائق أخرى من الوقوف في نفس المكان يشير إلى موقع تال، وهكذا إلى أن يصل في نهاية توقفه ووقفته الكوميديا إلى النقطة التي ترمز للهدف ويقول: وهذه هي نهاية الطريق، وينتزع أجره مضاعفا على هذا النصب المكشوف.

فما بالنا إذا كنت أنا الشعب لم أطلب هذه التوصلية ولم أوافق على هذا الاحتجاز القسري في هذا التاكسي المتوقف، وما بالنا إذا كنت أنا الشعب قد بذلت ما في وسعي لمقاومة هذا الانقلاب وفقدت كثيرا من أبنائي الأعداء في هذه المقاومة المشروعة.

تعقيبات

بدوي غيور

أدعو الله أن يستر عليك أيها البطل أنت أحد الضمائر الحية من قلة قليلة من مثقفي مصر أنت من أهل الثواب والمبادئ رعاك الله أنت أمين التاريخ على أرض الكنانة وأنت شاهد العصر على مهازل أراجيز وعواجيز مفسدي السياسة في مصر الأسيرة. فك الله أسرك يا مصر من براثن الخونه والمأجورين .

طاهر منصور جراي

مقال ممتاز يشخص الحالة المصرية السيسية البائسة ولكنه لم يتطرق إلى البديل أو ماذا يمكن أن نعالج به هذه الكارثة التي ألمت بشعب مصر العظيم. الجميع يدرك الآن أن لصوص السياسة لا يتورعون عن ارتكاب أي منكر أو مظالم في سبيل تحقيق أهدافهم. إن الذين يقفون متفرجين على ما يحدث الآن ومؤيدين له سيندمون عندما يخرج شباب محبط لا يؤمن إلا بالعنف سبيلا للتغيير سواء في مصر أو غيرها من بلاد العرب. وعندها ستدور حلقة رهيبة يصعب الإفلات منها. أفيقوا يا من بيدكم مقاليد الأمور وعودوا إلى الحق قبل أن يتحطم المركب بالجميع.

بن سعيد

«لقد أكد الدكتور محمد الجوادي منذ وقت مبكر جدا ، ومن على قناة الجزيرة أن لا أحد يقوم بعمل انقلاب من أجل آخر - في تأكيد على أن السيسي قام بالانقلاب من أجل نفسه فقط وهذا ماتأكد أخيرا - بينما كانت هي تتمتع وهي راغبة وكان المنافقون والمنافقات والكذابون والمدلسون يؤكدون أنها عفيفة وشريفة ولا رغبة لها في كرسي الرئاسة ومن ثم غيروا الأسطوانة لتبرير فجورها وعدم عفتها بالضرورة. بارك الله فيك يادكتور».

نبيل سيف

«كل الحمد والفضل والشكر لله - تعالى - على نعمه ظاهرة وباطنة، والله لن تسقط أمة قائدها وزعيمها وشفيعها ومعلمها وحبيينا ورسولنا - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم أجمعين - وفينا أمثال الدكتور الجوادي وغيره كثير ممن يرفعون لواء الحق والصدق وأفضل الجهاد في وجه الجور والظلم والطغيان والأفك والغفلة والضلال. . . هنيئا لهم جميعا» ونعم عقبى الدار لهم مناجميا» ننحنى ونحترم ونثمن ونقدر ماتجود به عقولهم ونفوسهم وبنات أفكارهم لينيروا بها عقول مظلمة وقلوب غلغلى في هذا الوطن البائس التعيس المخدوع والمبتلى».

مصري

«سيدي قد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي، فمن تخاطب؟ الشعب المقهور أم الغافل أم المتأمل؟ كلا منهم قد علم صلاته وتسيحه وهو راض بها فقد تمايز الناس وظهرت حقيقة معادهم ولأن لكل مصيبة نعمة فهذه النعمة الانقلاب. الناس الآن تنتظر أمرا كان مفعولا هل ستتصر الدبابة؟ نعم ستتصر مرحليا وحتى يفيق المسالمون أصحاب الحق ويهون لرد الصاع صاعين وتطهير مصر بجد وحق من أدرانها وعندها سيستحقون توفيق الله لهم. وقدبنا قالوا لا يحتاج الأشرار لكي يحكموا العالم غير سكوت الأخيار وإن كل الظلام لا يهزم شمعة مشتعلة».

يوسف بن تاشفين

«سيدي الجوادي لا غرابة أن يحدث ما قلت لأنك لو تصفحت مواقع على الإنترنت لوجدت كم الانحطاط الفكري واللغوي الذي تتمتع به فئة ليست بالقليلة من الشعب المصري حيث العبارات القذرة التي والله صدمت منها، ومثل هذا الشعب خسارة فيه مرسى فهو يعشق فرعون وأمثاله وأنا والله أعزبك وأعزي كل الشرفاء في مصر لأن هؤلاء أموات تمشي على الأرض تقتلنا رائحتهم كل يوم».

ثائر من تونس

«تحية للمفكر محمد الجوادي الذي مازال صوته صادحا بالحق في أسلوب ممتع يبشر بأن الانقلاب إلى زوال لأن كل مفكر صادق مناصر للحق هو نبي عصره ونبوءته محققة بإذن الله».

□

الفصل الثاني

الانقلاب ومعنى الإنجاز في النظم الشمولية

١

أبدأ بداية مباشرة فأقول إن الإنجاز في الدول الشمولية له طابع مختلف عن الإنجاز الطبيعي بحيث إنك إذا أردت أن تشرح معنى كلمة الإنجاز في أي معجم عام أو متخصص فلا بد أن تشير إلى هذا المعنى الاستثنائي.

وعلى سبيل التبسيط فإننا نعرف الإنجاز على أنه إتمام عمل شيء في وقت ما بكفاءة ما، وبلغة المعاجم يصبح الإنجاز هو إنجاز العمل مع الإشارة إلى ما استغرقه من وقت وإلى ما اتصف به من كفاءة.

وعلى سبيل المثال نقول إن الإنجاز قد تحقق في وقته أو متأخرا عن وقته بنسبة (نذكرها على وجه التحديد) أو سابقا لموعده، كما نشير إلى درجة الكفاءة فيه تبعاً لمقاييس الإنتاج في هذا الميدان من ميادين العمل أو الصناعة أو العلاج أو التأليف أو الجراحة أو التصميم أو الإخراج أو التمثيل... إلخ.

وهنا نجد واضع المعجم (شخصاً كان أم جماعة) أنه لا بد له أن يشير إلى معنى الإنجاز الكاذب، أي الإنجاز الذي يصور للناس على أنه إنجاز بينما هو ليس كذلك، وهنا تتسارع إلى الفكر إنجازات الاتحاد السوفيتي ومن اقتدى في عهد الركود العظيم حين كان الإنتاج قد بدأ في التدهور النوعي بسبب تضافر عوامل اقتصادية لا يمكن التحكم فيها إلا بالشفافية وتفعيل اقتصاديات السوق، وذلك من قبيل تقبل الغش في المواد الخام أو الاضطرار إليه، أو تقبل الغش في المادة الفعالة أو الاضطرار إليها، أو تصنيع معادل وطني في ظل صعوبة استيراد الخامات الأجنبية نتيجة لنقص العملات الحرة... إلخ.

٢

تبلغ الطامة ذروتها حين تضطر الدولة الشمولية لأسباب نعرفها ولا نريد أن نتزيد

في استعراضها إلى اللجوء إلى سياسة احتكار الإنتاج والخدمات، وهنا يصبح المواطن الذي هو المستهدف بالإنتاج مجرد متلق يتلقى ما ينتج له دون نقاش، على نحو ما هو مواطن صالح يتلقى من السياسة والإعلام ما يميل عليه دون نقاش.

على أن الأمر في ظل هذه السياسات يبقى في حدود أمانة إذا ما كان صاحب السلطة واعيا لما يمكن التجاوز فيه ولما يمكن التجاوز عنه، وهو وعي يتناقض بالطبع وبالمنطق مع الزمن، حين تنفجر الأمور هنا أو هناك فيكتشف أن أحد أقرب الناس إليه توفي بسبب دواء وافق هو نفسه على الغش فيه، أو بسبب مستشفى وافق هو نفسه على تقليل اعتماداته التي توفر أجهزة التنفس الصناعي للحالات الحرجة على سبيل المثال.

ومع أن مثل هذه المعلومات تصل إلى الجماهير مشوهة ومشوشة ومنقطعة الصلة بما حدث بالفعل، فإن تصويرها الخاطئ لا يلغي حقيقتها الجوهرية الموجودة في صورة أو أخرى.

ويبقى المثل الأكبر للإنجاز الفاسد متمثلا في السياسة المخربة التي تبناها عالم زراعي سوفيياتي كان هو وحده سببا في كل أزمات الاتحاد السوفيياتي الغذائية والزراعية.

٣

من الإنصاف للحقيقة أن نشير إلى أن تاريخنا العلمي في عهد ثورة يوليو لم يكتب حتى الآن بالصورة الدقيقة التي تسمح باكتشاف مواطن الإنجاز الحقيقي ومواطن الإنجاز الزائف فيه، لكن الشعور العام تجاه هذه الفترة يكاد يغلب الانطباع بأنها كانت فترة إنجاز زائف.

ويستند من يقولون بهذا علي أن هذه الفترة لم تترك أثرا علميا في العلم أو التكنولوجيا، ولم تترك مؤسسة يقوم إنتاجها على العلم، كما أنها لم تتحدث عن نجاح اقتصادي قام على العلم وأضاف إلى ثروة الوطن، وقل مثل هذا في مجال المواد الأساسية والخامات، بل في مجال الخدمات والعلاج الطبي والبيطري على حد سواء.

ويبدو أن هذه الصورة العامة قد أجادت التعبير عن الواقع التاريخي لتلك الفترة التي حققت مصر فيها كثيرا من النجاحات الزائفة في مجال السياسة إلى الحد الذي

٥

وحدثت الانتكاسات بالطريقة نفسها في مجالي الخدمات الأساسية، وهما الصحة والتعليم، فانعدمت ولا نقول تضاءلت فرص علاج كثير من الأمراض لقلّة الأسرة ولغياب الأدوية، ووصفت أمراض معينة بأنها لا علاج لها، وتخلفت مصر عن الدخول في مجالات علاجية جديدة، فكان دخولها رمزياً في ميادين العلاج بالذرة، وكان دخولها متأخراً وعلى استحياء إلى مجالات الغسل الكلوي ومناظير الجهاز الهضمي . . إلخ.

وعلى صعيد آخر عرفت مصر لأول مرة في تاريخها فصولاً تضم ما يقرب من الثمانين تلميذاً بدلاً من العشرين، ومدارس تعمل أربع فترات أو ثلاثاً أو اثنتين وندرت المدارس التي تعمل فترة واحدة، ولا تزال آثار التقشف التعليمي سارية في اختصار كثير من ساعات الدراسة حتى يومنا هذا في ٢٠١٤.

وقد جاء هذا كله لأن معنى الإنجاز المضبوط بالمعايير قد اختفى تماماً، ليحل محله الإنجاز ذو القيمة الإعلامية الذي يكون صاحبه قريباً من السلطان، ومن ثمّ يتيح له قرابته أو قربته أن يبدع في غير مجاله وأن يمارس في غير تخصصه، وأن يكافأ على ما لم ينجز، ويتواكب مع هذا أن يعاقب المنجز وتقلل قيمته حتى تترك فرصة النبوغ لصاحب الإنجاز الزائف.

٦

ولم يكن من العجيب أن ترى في تاريخ المشتغلين بالعلم في فترة الحكم الشمولي وزيراً للبحث العلمي وصل إلى منصب الوزارة لا لأنه عالم جليل (وقد كان بالفعل عالماً جليلاً) وإنما لأنه هو الذي منح صهر الرئيس درجة الدكتوراه، برسالة أعدها طالب آخر كان زميلاً لصهر الرئيس، وتجد سلفه في منصب الوزارة قد وصل إلى منصب الوزارة لا لأنه عالم مجتهد (وقد كان بالفعل عالماً مجتهداً) وإنما لأنه كان في الأصل خريج الكلية الحربية، ورأى أن يتحول إلى دراسة العلوم ويتخرج فيها، وكان هذان الرجلان هما وزيراً للبحث العلمي في عهد عبد الناصر.

وقد تواكب مع هذا الأسلوب في التقدير ومنح النفوذ ما عرف به ذلك العصر من

عناية متصلة بتشويه الرموز الذي لا تسير في الركاب، وهي آلية معروفة ينشأ عنها في النهاية أن يصبح صاحب الضوء هو ذلك الرجل الذي يتصف بأنه لا لون له ولا طعم ولا رائحة.

٧

ولأن طبائع الأشياء لا تتوقف عند حد فإن الأمور مضت بحيث أصبح المصري البسيط يتشكك في أي رواية عن أي إنجاز، لأنه اكتوى بالفعل من تصديق الإنجازات في الصواريخ والمراجيح على حد سواء، وقد ترتب على هذا أمران كان كل منهما أخطر من الآخر:

□ الأمر الأول: هو أنه في ظل عدم العناية بتقييم الإنجاز وإنجاحه، لم يعد أحد يمانع في أن يلجأ أي مدع إلى الزعم بأنه أنجز، فالمنجز أقرب إلى أن يكون مدعياً حتى يثبت صدقه، وهكذا نجد في تاريخ كثيرين من زملائنا ضجة حدثت ذات مرة فلم يتبعوها بضجات أخرى تثبت أنها كانوا قد أنجزوا، وإنما هم اكتفوا من الإنجاز بضربة واحدة ثم وجدوا الطريق صحراويا دون مرافق وأن عليهم أن يعبروه.

□ الأمر الثاني: أن المجتمع لم يعد يأبه بالدرجة الكافية بعقاب النصابين مكتفياً بالدعاء الفولكلوري الذي تردده السيدات عند ذكر فتاة لعوب، وهو دعاء جميل لا تستحقه اللعوب، لكنه يؤتي أثره في معظم الأحيان، تقول تلك السيدات: ربنا يستر عليها ويرزقها بزواج يحتويها في بيته بدلا من هذا التعدد غير المجدي. وقد قيل تبعا لذلك إن اللعوبات أكثر حظا من المستقيبات، لأن السيدات المسنات تدعين للصلحات بطول البقاء لأهلها ومع أهلها فتكون النتيجة ألا ترزق بالزوج وتبقى مع أهلها.

ولهذا كله فلا عجب من أن يقول لك إنسان يبدو متعلما: إن الاختراع أو الاكتشاف الوهمي ربما يصادف نجاحا. فالأولى ألا تتعب نفسك في انتقاده.

□

تعقيبات

محمد حسن:

﴿ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤].

عبد الله ناجي أحمد عبيد:

«ليس لدي من المعلومات عن تاريخ مصر في هذه الحقبة ما يمكنني من الحكم إيجاباً أو سلباً على تفاصيل ما ذكر في المقال، إلا أنني أجد تطابقاً كبيراً بين الواقع الذي يصف به الدولة الشمولية ونماذج كثير من أنظمتنا العربية القائمة حيث تجعل من توفير جزء من الخدمة البسيطة إنجازاً تاريخياً ومن وضع حجر الأساس للمشروع تديناً له فينبغي إعلامها في التبجح بفوائد المشروع ومردوديته وبوجوب حمده وشكره لمن من به عليهم. ومن يستطيع أن يتجرأ على طمس الحقائق الماثلة للعيان -أو خلقها من عدم- فتزوير الكفآت لمن ليسوا أكفاء عليه أسهل.

عمر أحمد سالم:

«منذ ومتى كانت هناك أي معايير للانقلابيين... هذا هو حظ الشعوب العربية والإسلامية... انقلاب بعده انقلاب وهكذا تتوقف عجلة التنمية وتبقى الشعوب لاهية في أشياء تافهة صنعها الانقلابيون لإلهاء الشعوب...».

أسامة محمد أحمد العدوي:

«وهل احترام الانقلابيون يوماً معايير للإنجاز أو تقديراً للعقول النابغة غير الموجهة. ما رأينا أو سمعنا في بلدنا العربية عن انقلابي تخلص من ذاته وأهوائه إلا الفريق سوار الذهب في السودان».

سعدي:

«فلسفة رائعة لاشك وأقول إن الشعوب رهينة بنتائج ذلك الإنجاز من حيث الحقيقة والوهم وإذا سلمنا أن الإنجاز الزائف هو خارج نطاق التصنيف لأنه كسحابة صيف ربما لم تمطر فإن علينا القول إن مخاض أي إنجاز حقيقي لن يؤتي ثماره إلا إذا كانت الشعوب هي من يحكم ويدير خطط البحث والعمل والرؤى لتحقيق أي إنجاز يعمل على ظهوره وما يحدث في غير هذه الظروف فهو من قبيل المغامرة لعل وعسى».

صادق:

«الإنجاز مفهوم شائك في النظم الديمقراطية الشفافة ذات السياسات المتدرجة، وهو بالتأكيد أكثر

غموضًا وإشكالا بمراحل في النظم الشمولية التي تنفذ تغييرات اجتماعية واسعة النطاق وباستخدام الإكراه بشكل رئيسي. إنجازات مثل هذه النظم والتغييرات يتم دوماً تضخيمها من خلال السيطرة الإعلامية والدعاية السوداء، ولا يكتشف زيفها إلا بعد معاناة بشرية هائلة كما حدث مع الدول الاشتراكية. والمحصلة لا تنمية ولا حرية ولا كرامة. ففي النظم والتغييرات غير الديمقراطية، هنالك إغراء لـ «إجبار» المجتمع على صحة المخطط الشمولي اليوتوبي».

سامان عبدالكريم:

«نموذجان للإنجاز الزائف والحقيقي يسهل على القارئ فهم الموضوع، فمثلا نشر الأمراض والأوبئة كالسرطان والفشل الكلوي والتهاب الكبد والأيدز من خلال الدولة العميقة نفسها وبأوامر من إسرائيل كما فعل (. . .) بشكل علني بدون أن يستطيع أحد محاسبته، ومن ثم تحويل هذه الخيانة والإبادة الجماعية إلى إنجاز من خلال الإعلان عن جهاز الكفنة بدون أي سند علمي أو منطقي، والضحايا ما زالوا في تكاثر، هذا نموذج مثالي لإنجاز النظم الشمولية، ومثال آخر على الإنجاز الحقيقي: خلق إسرائيل وبناءها من العدم على جماجم شعوب الكفنة.

جلجامش:

«وكأنك يا سيادة الدكتور تتحدث عن إنجازات القائد ضرورة صدام حسين والقائد الخالد حافظ الأسد. جمعها الله معا وأنزلها المنزلة التي يستحقان.

عبده:

«وماذا عن ادعاءات وإنجازات البكباشى جمال عبد الناصر مثل بطل الجلاء وبطل الإصلاح الزراعى وبطل باندونج وبطل الاشتراكية العربية وبطل الصمود في النكسة ألا يستدعى كل ذلك توضيحا؟.

□

الفصل الثالث

هل أصبح الانقلاب معاديا للاستقرار؟

١

لا يختلف اثنان على أن الاستقرار هو الهدف الأكثر إلحاحاً والأكثر جدوى لأي فعل انقلابي، وأن الانقلابات مستعدة لدفع ثمن الاستقرار بأيّة وسيلة ومهما كان الثمن، نقداً أو إزهاقاً للأرواح والممتلكات الخاصة، أو -حتى- تنازلاً عن السيادة الوطنية، أي عن بعض أرض الوطن نفسه.

فالانقلاب بلا استقرار حقيقي وواقعي يقود نفسه وخطواته للتحوّل المرتد بسرعة إلى جوهر الأصل في طبيعته، وهو أنه فعل مستنكر قانوناً وشرعاً وسياسةً، بل إن المتعارف عليه في تجليات الميكافيلية على مرّ عصورها أن الانقلاب على مدى عمره يظل تحت الاختبار، فإذا لم ينجح فإنه سوف يعاقب كفعل مؤثم مستحق العقاب، ولكنه إذا نجح تجاوز عنق الزجاجة.

ومهما قدمت السياسة الدولية من مجاملات مفرطة أو محسوبة للانقلاب، فإنها لا تعترف له بالوجود الحقيقي إلا إذا استقر على أرض الواقع، كما أن السياسة العملية متمثلة في المؤسسات الاقتصادية عابرة الجنسيات -على سبيل المثال- لا تبني سياساتها ولا تخطط استثماراتها على أساس أن الاستيلاء على السلطة أو المكاتب أو المباني يعطي الانقلاب شرعيته، وإنما تنظر إلى هذا الاستيلاء على أنه خطوة مادية مهمة أو أولية فحسب، لكنها في نظرها لا تؤمن للانقلاب مشروعية حقيقية.

٢

ينطبق هذا الفهم أيضاً على مجموعة الخطوات التالية التي تلجأ إليها الانقلابات سراعاً من اصطناع انتخابات صورية، أو وضع دستور شكلي، أو تأسيس مؤسسات سياسية جديدة تصدر من الصخب أو الجدل ما يملأ الفراغ السياسي.

لكن هذه الخطوات أيضاً تبقى أقل من أن تؤمن للانقلابات شرعية أصيلة أو مشروعية

حقيقية حتى لو من قبيل شرعية التغلب على نحو ما عرفتها القرون القديمة أو الوسطي، وإنما يتحقق للانقلاب وجوده المستقل عن الفعل المؤثم إذا استطاع الوصول إلى الاستقرار المهيئ لاستمرار الحياة وتقدمها آمنة على نحو أو آخر.

٣

وبعيدا عن المصطلحات السياسية أو الاجتماعية المعقدة، فإنه يمكننا استعارة الصور من حياتنا المعاصرة، والقول إن استقرار الانقلاب أو النظام السياسي على وجه العموم هو استقرار دينامي وليس استاتي، وهو ما أشبهه دائما باستقرار الطائرة في المجال الجوي، فهو استقرار ناشئ عن توازن حركي معقد يبقي جسم الطائرة وما يحمله في وضع الطيران والحركة الآمنة، ولا يمكن أن يستعاض عنه باستقرار السكون أو التوقف، إذ إن الطائرة لو توقفت وهي في الجو لسقطت من فورها محترقة بمن فيها.

وفي مقابل هذا، فإن الاستقرار القديم أو الاستاتيكي لم يعد له محل من الوجود في العصر الذي نعيشه مهما تصور المثقفون والقراء الرجعيون أن هذا ممكن وأنه ضروري.

وفي الواقع، فإن هؤلاء معذورون لأنهم يمارسون العمل السياسي من باب الحنين إلى تجربة أعجبوا بها في صباهم، الفسيولوجي أو الفكري، وهو منهج لا يصلح للسياسة حتى وإن نجح في الفن حين يتغنى الواحد منا بلحن قديم نشأ على الإعجاب به أو حين يتقمص الواحد من السياسة أداء ممثل مشهور لدور كلاسيكي بكل المقومات المثيرة للإعجاب في ذلك الأداء.

وفي مقابل هذا، فإن ممارسة السياسة لا تعترف بمثل هذا الأسلوب، ولا تضمن، بل ولا تتيح له النجاح حتى وإن بدت السياسة وهي ترحب ترحيبا تقليديا بمثل هذه القولة مع إدراكها أنها تستحق الفشل المؤكد عند التقييم الحقيقي بل منذ التقييم المبكر.

٤

وجد الانقلاب العسكري المصري نفسه منذ الأسابيع الأولى متعرضا وبكثافة لتدفقات استفهامية كثيرة عن جوهر سياسته في المعالجات الاقتصادية ولا نقول الإصلاح الاقتصادي، فلما أثبتت الإجابات المبكرة التي قدمها قائد الانقلاب فشلها في مقاربة

أسلوب محدد لتحريك أو تعزيز مقومات الاستقرار، فضل الانقلابيون الكبار أن يسحبوا الطائرة بعيدا إلى ورش الصيانة لا من قبيل إعادة تأهيلها، ولكن من قبيل النأي بها عن التعرض للسقوط الحتمي إذا ما فكرت حتى في الطيران التجريبي.

ومع هذا، فإن الأسئلة زادت وانفجرت بدلا من أن تهدأ أو تجد الإجابة الواضحة، وهكذا فإنه سرعان ما نشأت الحاجة الماسة إلى اللجوء السريع إلى سياسة زرع الطمأنينة بدلا من العمل الجاد من أجل الإنجاز، كما نشأت بفعل مخبراتي مستورد سياسة الترهيب من الإظلام التام لتكون بديلة عن سياسة الحث على البحث عن بدائل لتمويل الطموح المشروع والموعود به من قبل.

٥

وفي مثل هذا المناخ الذي تضطرب فيه الأدوار المنوطة بالتنفيذيين الكبار، فإن رجال البنوك سرعان ما يتحولون إلى أمناء خزائن بدلا من أن يكونوا مستشاري تمويل، وكذلك يتحول رجال الرقابة على النقد إلى مفتشين بدلا من أن يكونوا موجهين، كما يتحول رجال التخطيط إلى ممارسة التبرير والمراجعة بدلا من التفكير والاقتراح.

وعلى مستوى المواطن العادي الذي هو لبّ الموضوع في السياسة سرعان ما تبرز المعاناة الحادة مع ارتفاع الأسعار، ولا يمكن عندئذ تبرئة الحكومة من المسؤولية عن هذا الارتفاع بعد أن قامت بإجراءات من قبيل رفع أسعار الوقود والنقل فضلا عن الرسوم والضرائب.

ومن المفهوم أن الجماهير قد تستوعب مثل هذه المعاناة - وإن على مضض - إلا إذا وجدت ما يدفعها دفعا إلى عدم القبول بها تنتج هذه السياسات.

وفي حالتنا المصرية على وجه التحديد، فقد اضطر الانقلابيون أنفسهم بأنفسهم إلى خطوات كفيلة بزعة الأمل في أي استقرار مأمول.

وتمثلت أولى هذه الخطوات في لجوء الدولة الانقلابية إلى مكافأة من تظن أنهم يشكلون اللبوي الخاص بها أو أهل الثقة الخاصين بها، فإذا بالحكومة ترفع مرة بعد أخرى أجور ومعاشات القضاة والعسكريين العاملين والمتقاعدين، بينما هي في الوقت ذاته

تخفيض وتمنع الزيادات المشروعة في أجور المعلمين والأطباء.

٦

وعلي حين بشر الانقلاب بأنه سيعتمد على سلطاته الحاسمة (وهو الوصف المهذب للقمعية) في فرض قانون الحد الأقصى للأجور، فقد سخر القضاء نفسه من القانون إلى درجة غير متوقعة، حتى إن المحكمة الدستورية قالت ما معناه إنها لا تخضع أصلاً للقانون.

وقل مثل هذا في ما حصل عليه الطيارون ورجال البنوك يلي الذراع في خطوات معلنة، بل ومتحدية للاستقرار الذي يتطلب العمل على تأكيد وجود النسيج الواحد لا الأنسجة المتميزة التي تجاهر بالعصيان إذا لم تحصل على ما تريد.

وهكذا بدأت سياسات توزيع الدخل وممارساتها تسرع بالمجتمع المصري في ظل الانقلاب إلى ما يسمى في أدبيات علوم الاجتماع سياسات أو آليات الاستقطاب المؤذنة بسقوط متسارع لسلطة الدولة مهما لجأت إلى القمع.

٧

أما ثانياً الخطوات التي شكلت للمجتمع الانقلابي صورته المستقطبة أو الاستقطابية اقتصادياً (وبالتالي غير المستقرة اجتماعياً وسياسياً) فتعلقت بالسلوك الحكومي السلبي تجاه أرقام الموازنة التي فاقمت من وضع كل الأرقام الإنذارية المعروفة سلفاً، وإذا بالعجز في الموازنة الذي طنطن قائد الانقلاب نفسه -منذ عام- بأنه تصدى للحديث عن وجوب خفضه يزداد عما كان مرصوداً قبل زجر القائد ونهره رئيس وزرائه.

وقل مثل هذا في كل المؤشرات الأخرى التي تجمعت وتراكمت لتكرس حقيقة مرة، وهي أن الدين الداخلي وحده تعدى ٨٠٪ من إجمالي الناتج القومي، ومن ثم فقد أصبح مستقبل الإصلاح الاقتصادي نفسه في خيبر كان بعد أن حفرت سياسات الانقلاب أخاديد عديدة في وجه مصر الاقتصادي، وبعد أن عادت -على سبيل المثال- إلى سياسات مراهقة كانت قد توقفت عنها منذ أكثر من أربعين عاماً.

وللإنصاف فقد توقفت الناصرية نفسها عنها بعد أن أنضجت هزيمة ١٩٦٧ عبد الناصر فكف (بصورة غالبية) عن تجديد اللجوء إلى المصادرة والمنع من التصرف

والاستيلاء والتأميم والحراسة.

ومن المؤكد أن مصر ستحتاج سنوات طويلا لتصحيح هذا الوضع الذي اندفع إليه الانقلاب بفعل المراهقة الفكرية لمؤيديه من ممارسي إعلام التحريض الذي لا يقود في العادة إلا إلى الخراب الاقتصادي المتسارع.

٨

وأما ثلاثة الخطوات التي يكرس بها الانقلاب -دون أن يدري- عدم الاستقرار (من باب الظن أنها علاج لأمراضه بينما هي سم بطيء قاتل لأعضائه وأنسجته) فتمثل في طبيعة السياسة الرعناء التي رسمها أعداء جدد للإسلام وسلموا «كتالوجها» للانقلاب لتنفيذه.

وبدلاً من أن يكون الانقلاب حصيفاً في تنفيذ السياسات (التي وُعد عن صدق بأنها ستتم تغطيتها تماماً دولياً وغريباً) فإنه (أي الانقلاب) أثر أن يصور نفسه على أنه موظف دولي معتبر ومسند، بدلاً من أن يصور نفسه ذا فكر جديد يتقاطع النفع فيه مع الخارج.

ولا نستطيع بصراحة أن نقول إن الانقلاب أخطأ في تصوير نفسه موظفاً عند القوى الخارجية الأميركية أو الإسرائيلية، فقد أثبتت الأيام أن هذا التصوير الصريح رغم بشاعته وسوداويته هو الذي ضمن للانقلاب انصياح كثير من المنهزمين نفسياً من الليبراليين واليساريين والانتهازيين، وضمن للانقلاب سير هؤلاء غير المشروط وراءه في صمت وتواطؤ، حبا في الرهان المضمون.

وبدلاً من أن يزعم الانقلاب أنه يمارس اشتراكية عربية مختلفة تماماً ومتميزة عن الماركسية العالمية، فإنه جاهر بأنه ينفذ سياسات لها اليد العليا في عالم اليوم.

وبدلاً من أن يحاول إثبات تفوق عسكري أو فكري فقد حرص على إثبات علاقة عضوية متميزة حتى بعدو تقليدي.

وهكذا قاد الانقلاب نفسه إلى صراع ظاهر أو مستتر، وإلى نزاع حال أو مؤجل مع كل من يخالفه في هذا التوجه الذي لا يمكن للجماهير -أية جماهير- أن تقبل به لا على المدى القصير أو الطويل حتى وإن تظاهرت مؤقتاً بأنها تصفق مع النعمة السائدة.

تعقيبات

Salah Khalid

«لا زال الوقت مبكراً جدا حتي تعي الشعوب العربية والمسلمة ما يحاك لها من مؤامرات داخلية طمعاً في السلطة وخارجياً لتحقيق مصالح، ولن يحدث أي تغيير حتى يخرج من رحم هذه الأمة جيل يؤمن بالقيم الإنسانية ويضحى من أجل إدراك هذا الهدف، ولا نراه قريباً في ظل ما نحن فيه من تناحر طائفي وقبلي وما شابه ذلك، والله الأمر من قبل ومن بعد، والله درك يا دكتور، جوزيت خيراً على إسهامك في توعية هذا الجيل».

مسافر

«الثابت الوحيد في مصر هو حكم الجيش والجيش ليس حزبا يحمل مبدأ ثابتاً أو أفكاراً ثابتة أو خططاً واستراتيجيات ومواقف ثابتة تضمن الاستمرار والاستقرار بغض النظر عن الأشخاص وبالتالي فإن مصر تتغير فجأة بتغير الرئيس الذي يفرزه الجيش مع الأخذ بعين الاعتبار التفاوت الكبير في الشخصيات والأمزجة وفي الانتهات وفي القدرات والخبرة والضمير والأخلاق بين ضباط الجيش».

أبو محمد الكندي

«هدف هذا الانقلاب ليس الحكم أو تحسين أوضاع المصريين ولكن الانتقام من الشعب الذي ثار علي حكم العسكر في يناير والإخوان الذين انتخبوا من الشعب ووقوف الدكتور محمد مرسي مع حماس أثناء الاعتداء الإسرائيلي ٢٠١٢ فقررت إسرائيل التخلص من الرئيس الشرعي وتدمير مصر بنفس الطريقة التي دمروا بها العراق وسوريا فالسيسي وأعوانه ما زالوا يعملون على تحقيق هذا الهدف فهل سينجح؟؟؟؟!!!!!!».

إبراهيم شاهين

«الاستقرار الحقيقي نابع من قبول الأمة والشعب بنظام وسلطة منبثقة عنه ومن علامات هذا الاستقرار الحقيقية نمو الإنتاج الاقتصادي والاعتماد على الذات وقيام كل مؤسسة من مؤسسات الأمة بواجباتها المختصة بها. . . احترام حقوق المواطن وكرامته وحقه في العيش. . . اعتماد سياسة داخلية وخارجية تحقق مصلحة الأمة. . . العدل والمساواة والحرية والفرص المتساوية للجميع. . . حل الخلافات بالطرق السلمية. . . تدوال السلطة. . . حكم مدني منتخب. . . أما ما يحدث الآن هو هدوء ناجم عن استخدام القوه الأمنية والمالية والإعلامية والعسكرية الغاشمة».

إبراهيم شاهين

«إن الحالة التي أطلق عليها أبقا الغرب وعملاؤهم في بلاد العرب. . . استقرار. . . يعنى استقرار

نفوذ واحتلال والصحيح أنه ليس استقرار بل هو استسلام وخضوع الأثرية والغالبية التي لا تملك شيئاً وخوفاً من دفع ثمن باهظ أمام قلة تمتلك المال والإعلام والتفوذ والسلاح».

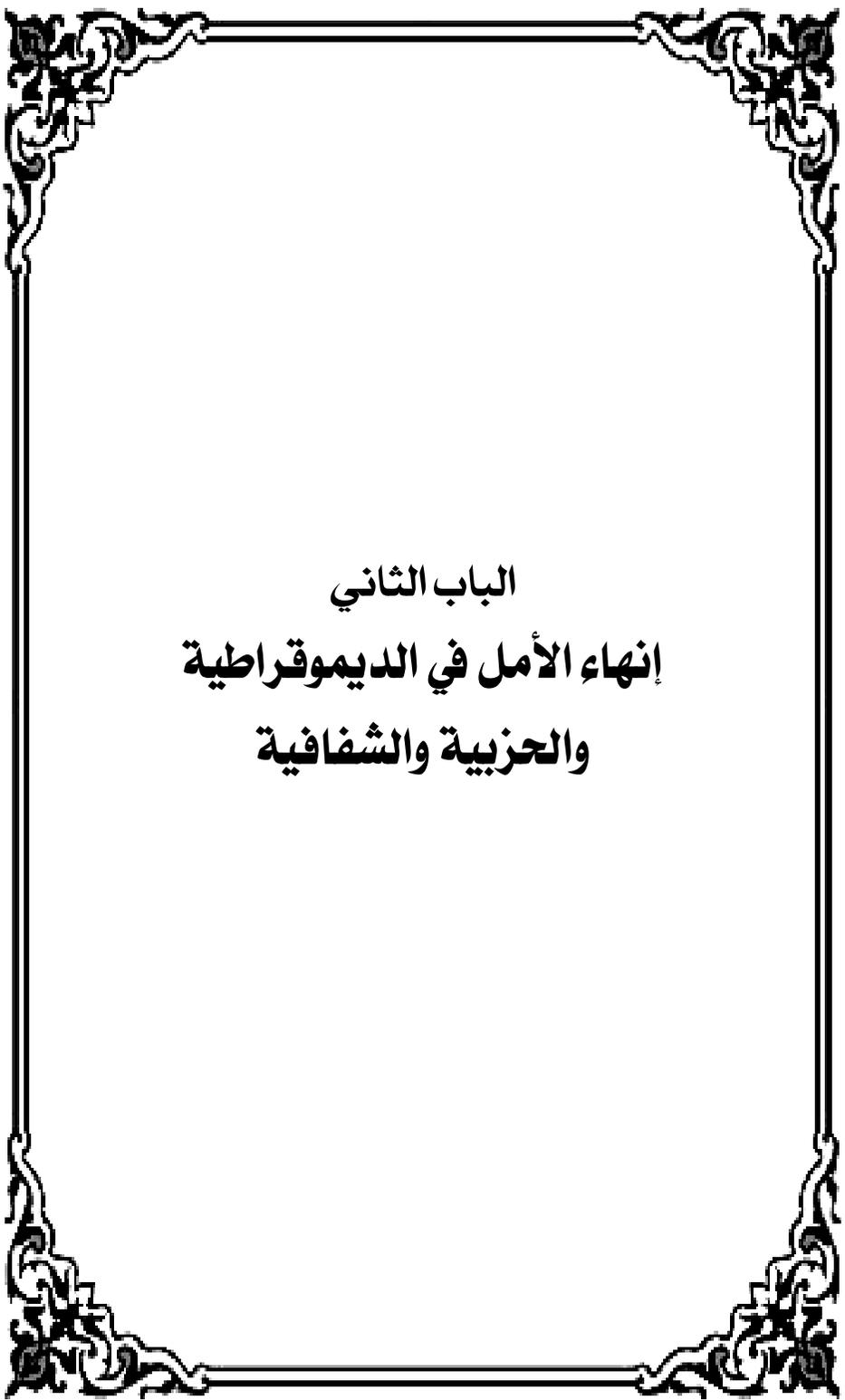
hossam maroc

«كل المعاملات غايتها براجماتية نفعية سواء أكان على حساب بيع المباديء أو قرار سيادي، لكن ونحن أمام حالة مؤامرة أفرزت انقلاباً خسيساً مازال لم يحقق أهداف المثأمرين في الاستقرار لكي تبدأ آلة الاستنزاف الرأسمالية تآكل في ثروة الشعوب بالباطل فنرى أنه سيكون وبشكل إلزامي إجباري على عصابة المؤامرة وبتحديد الغرب في أن يخرج من المشهد أو إبرام صفقات جديدة مع أهل الشرعية، وإن لم أتطرق للحل الثالث فيني أجده مستعبداً في ظل انعدام ضمانات الربح الذي يبقى في صنع الفوضى».

مسلم عربي مصري

«كيف يكون الانقلاب نبغاً للاستقرار وهو أساساً انقلاب على الإرادة الشعبية الحرة، الانقلاب لن يستقر له حال ولا بال في مصر طالما أغلب الشعب ضده ومع الشرعية الدستورية المنتخبة التي توفر الاستقرار والتنمية والرخاء، أما الانقلابات فتجلب الحروب والخراب والدمار والتسلط والاستبداد والظلم والقهر».

□



الباب الثاني
إنهاء الأمل في الديمقراطية
والحزبية والشفافية

الفصل الرابع

هل ينهي انقلاب مصر التجربة الديمقراطية؟

١

قد يبدو هذا السؤال غريبا إذا ما نطق باللغة الإنجليزية أو باللهجة العامية المصرية، لكنه يبدو أقل غرابة إذا ما نطق باللغة الرسمية ولا نقول اللغة الفصحى، والفرق كبير، فاللغة الرسمية لغة ثقيلة الوقع والملامح تخفي المعاني القمعية في صياغات ملتبسة لا تفتقد التهذيب وإن افتقدت المودة.

وهكذا يصبح التعبير (المتصاعد الآن في المعزوفات الانقلابية) عن الاصطفاف الوطني مساويا تماما لإلغاء الأحزاب، بل مساويا تماما لنوع أقل نبلا وحماسا وإنجازا ودافعية من أنواع الفاشية.

وعلى الرغم مما يبدو في هذا الفهم من شبهة التجني المعذور، فإنه فهم حقيقي ذو جذور تاريخية مؤثرة في الوعي، فقد شهدت مصر نفسها بعد وصول الضباط للحكم في ١٩٥٢ توجها واضحا نحو إلغاء الأحزاب.

وسرعان ما تحول التوجه إلى تشريعات متوجسة أو مؤشرة (أو تأشيرية على أقل تقدير) وذلك من قبيل الحديث الزاعق وقتها عن التطهير، وهو حديث لم يتورع عن المطالبة بأن يكون الحزبيون ملائكة نورانيين على الأقل وإلا فلا داعي للحزبية، وسرعان ما تحول التوجه والتشريع إلى أمر واقع مقنن نفى الأحزاب تماما ولم يكتف بإلغائها فحسب.

٢

استمر الوضع السياسي المؤثم للتعددية، النافي للحزبية، المنكر للحق في الرأي الآخر، ربع قرن من الزمان (١٩٥٢-١٩٧٦) واستعاض العسكريون عن الحياة الحزبية بتنظييات سياسية شوهاء آذت ٢٣ يوليو في محاور كثيرة، ولا تزال تؤذي مصر والعالم العربي بما رسبته في أعماق التجربة السياسية من شكلائية بغیضة وتزييف متصل وتبرير

للأكاذيب وتشجيع للأمراض الاجتماعية الخلقية بدءاً من الانتهازية ووصولاً إلى كل ما يكفل تهتك النسيج الاجتماعي بتفعيل دوائر التقارير اليومية التي تستلهم التجسس على الولاء الكامل للزعيم الأوحده ضد ما تقول به كل الأديان والأعراف والتقاليد.

وقد أقرت ثورة ١٩٥٢ نفسها بعجز التنظيمات السياسية الشمولية الشوهاء عن إنجاز كثير من الوظائف السياسية التي تقوم بها الأحزاب بصفة تلقائية ودون عناء (في مجالات الرقابة الشعبية والحزبية ورصد بؤر الفساد والقلق والتذمر والالتهابات الفتوية أو المحلية والمتغيرات الدولية أو الإقليمية.. إلخ).

وكان البديل أن أناطت الثورة هذه المهام بأجهزة شرطية عرفت على سبيل الإجمال بأنها أجهزة الأمن السياسي وإن لم يستقر هذا التعريف تماماً بحكم قلق الفكرة نفسها ومنافاتها لمنطق التقدم الحضاري والاجتماعي والفكري.

وقد حاولت أنا نفسي رسم معالمها بجديفة في مجلد ضخمة (طبع أكثر من مرتين) عن قادة الشرطة في السياسة المصرية.

٣

كان إطلاق حرية تكوين الأحزاب من أبرز مظاهر النجاحات الساحقة التي حققتها ثورة ٢٥ يناير/ كانون الثاني ٢٠١١، حتى صار هذا الحق على نحو ما يوصف به في القانون حقاً مطلقاً لا يتطلب إلا الإخطار، ومع أن أحداً من الذين عاشوا عصر مبارك لم يكن يتخيل أن تصل مصر إلى مثل هذا الحق بهذه السرعة، فإن الأمر الواقع فرض نفسه، وكذلك فرضت الشرعية الثورية نفسها حتى أصبح الحق الطبيعي مقنناً بعدما كان مجرداً.

وقد كانت أبرز نتيجة لهذا الحق أن تمكنت جماعة الإخوان المسلمين من تأسيس حزب الحرية والعدالة، وتأثير مقدراته على نطاق واسع يتناسب مع انتشار هذه الجماعة، وانتشار هذه الدعوة، ولم يكن مفاجئاً أن يقترن التأثير والتأسيس معاً، فقد كانت الجماعة وأنصارها موجودين على أرض الواقع بالفعل، ولم يكن ينقص هذا الكيان إلا هذا الوعاء الحزبي التقليدي الذي هو في الأساس حق من حقوق المجتمع على جماعته قبل أن يكون من حقوق الجماعات على الوطن.

لكن الفهم السياسي الآخر الذي تأصل على مدى سنوات الحكم العسكري لم يكن يتصور الأمور على هذا النحو الطبيعي، وإن لم يصرح بهذا جهرا أو على نطاق واسع.

٤

ومع أن عدد الأحزاب التي نشأت بعد ثورة ٢٥ يناير تعدى العشرين، فإن أجهزة الثورة المضادة لم تعترف في قرارة نفسها إلا بحزب الإخوان باعتباره معبرا عن تجربة حقيقية ذات وجود وحضور وفعالية، فضلا عن أنها ذات منطق وفكرة وتاريخ.

في الوقت ذاته فإن الأجهزة المعروفة عند الجماهير على أنها أجهزة أمن الدولة كانت قد وصلت في ذلك الوقت التالي للثورة إلى أدنى منحنيات التراجع في مستويات نفوذها على مدى تاريخها، لكن هذا الموقف الجديد والمفاجئ دفع كوادرها لتبني أنماط مختلفة للتفكير في هذا الذي حدث لها.

وقد وصل الأمر ببعض هذه الأنماط إلى إنكار واقع ما حدث بطرق مختلفة من الإنكار بلغت محاولة إلغاء كل ما حدث بعد الثورة للتدليل على أنه لم تكن هناك ثورة من الأساس، وهي محاولة عقلية عسيرة لكنها تحتمل الاجتهادات القصوى بل تشجعها مهما بدت متجاوزة.

٥

ولا شك في أن قطاعا - ليس بالكبير بالطبع - من العاملين في هذه الأجهزة قد رأى فيما حدث نهاية طبيعة لمرحلة، وأن صفحة أمن الدولة قد طويت للأبد، وأن الأجدر به على المستوى الفردي أن يبدأ بنفسه ولنفسه نشاطا مهنيا - في المحاماة على سبيل المثال - أو تجاريا أو وظيفيا - في العلاقات العامة - وأن يعتبر عمله في أمن الدولة مرحلة تاريخية انتهت على خير، أو على غير خير، وله أن يتذكرها بالخير أو بغير الخير.

وكان هذا القطاع بالطبع هو القطاع الذي رزق من التوافق النفسي مساحة لم يرزقها الآخرون الذين تعددت رؤاهم إلى حد التفكير الجاد في الانتقام والتشفي، ومن ثم فإن مجموعة من الاتجاهات المتطرفة في تعاملها مع الواقع كانت كفيلة بأن تشكل شرارات انطلاق واقع جديد.

وبالطبع فقد كان من أخطر هذه الاتجاهات في ذلك هو الاتجاه الذي تبني توجه الانتقام والاستعداد للعودة.

كان هذا الاتجاه ينظر إلى أمن الدولة على أنه أحد الملاك الرئيسيين لمصر بصرف النظر عن شركاء الملكية الآخرين، ومن الطريف أنه في مناقشاته لم يكن يشغل باله بشركائه في الملكية وتحديد هؤلاء وتحديد أنصبتهم، وإنما كان ما يعنيه هو الحفاظ على مكتسباته المادية والمعنوية مهما كان حظ الشركاء الآخرين.

٦

ومع أن الحفاظ على المكتسبات المادية لم يكن كفيلا بإحداث قدر كبير من الفتنة التي حدثت على أيدي هؤلاء المتمسكين بالماضي القريب، فإنه لم يكن من الممكن في نظرهم أن يتم هذا الهدف المادي بمفرده تماما أي من دون اقتران الحصول عليه بالحفاظ على المكانة المعنوية المتولدة بالطبع من مكانة وظيفية استباقية تتيح الحصول على كل ما هو مطلوب بمبررات قانونية وسياسية ترتبط ولو في الظاهر بالأمن السياسي وأمن الدولة.

وهكذا تحول الأمر - عند هذه المجموعة - من رغبة مشروعة في الحصول على مكاسب مادية مشروعة إلى رغبة أعمق وأعرض في الاحتفاظ بوضع استثنائي كان يتيح الحصول على هذه المكاسب المادية ويجعلها تعويضا عن جهد مبذول في حماية النظام القائم - أو بلفظ أدق - الذي كان قائما.

وقد نوقش هذا الأمر على نطاق واسع في الصالونات المتعلقة بمواقع الحكم والنفوذ، ووجه إلى السؤال كثيرا عن الحل التاريخي لمثل هذه المشكلة، فكنت أشير إلى سياسة منح الإقطاعات الكبيرة كمقابل لنهاية الخدمة، وذلك مقابل إبعاد الأمنيين المحترفين عن صراع السلطة في حقبة بدا بوضوح أنها مقبلة ويلاحق خارجي على انقلاب عسكري غير مكتمل الأركان.

٧

وكان الأمر العجيب أن المصريين المحدثين الذين تعودوا على أن يتم كل شيء في إطار الاستثناء المتكرر فضلوا الأساليب الاستثنائية على الأساليب الطبيعية، بل فضلوا أن

يكون الحصول على مزايا مادية مقترنا بمواصلة الإفساد السياسي أو التورط في اللعب السياسي الأمني، على أن تكون هذه المزايا بديلا معقولا في مقابل الكف النهائي عن الإفساد السياسي بالألعاب التقليدية التي من المفترض أن ينتهي دورها بعد ثورة شعبية.

وكانت هذه آية من آيات التلوث الخلقي الذي انتشر على نطاق واسع بين ممارسي السياسة وهواتها، وليس سرا أن أغلب أعضاء جماعة الإخوان المسلمين نفسها كانوا يناقشونني من منطلق غريب عليهم وهو ضرورة احترامهم لاعتقاد المجتمع السياسي في أن أمن الدولة ضرورة وطنية، ولم يكن هؤلاء من باب الطرفا يدركون أنه موجود لمحاربتهم هم فقط وليس لشيء آخر.

لكن هؤلاء كانوا بحسن نية يظنون أن أمن الدولة مفهوم أوسع من مفهوم النشاط الديني، ولم يكونوا يعرفون أن الوظيفة الكبرى للمعدة هي الهضم وليس إلا الهضم، وأن معدة الإنسان إذا قادت إلى التجشؤ فهي مريضة وليست كما هي في بعض الثدييات المتعددة الوظائف.

٨

تطورت الأمور على نحو ما نعرف جميعا من قبول حكم الإخوان لوجود أمن الدولة وتعايشهم معه، ثم لنفوذ أمن الدولة، ثم لمناورات أمن الدولة على الإخوان، وهو ما انتهى في النهاية إلى ما يمكن تسميته تهديبا بلعب أمن الدولة بالإخوان وحكومتهم، وهو المقابل الموضوعي لما يقوله آخرون من تأمر أمن الدولة، أو لما يقوله من هم أكثر صراحة: عودة أمن الدولة على حساب القضاء على الإخوان أنفسهم ومكانتهم التي وصلوا إليها بالصندوق، وهو ما يعادل إلغاء إرادة الشعب والجماهير وإلغاء الديمقراطية.

ولم يكن هذا التطور في آليات اللعب ولا خطواته بعيدا عن إدراك التاريخ ولا عن بصره ولا عن فهمه ولا عن أحداثه المعروفة من قبل في مصر وفي غير مصر، وفي الماضي القريب أو البعيد، لكن الثقافة السياسية والتاريخية لكل من يمارسون السياسة في مصر حتى وقوع انقلاب ٢٠١٣ كانت في أضعف مستوياتها، حتى إنها -بلا مبالغة ولا تجن- كانت في حاجة إلى حدوث الانقلاب العسكري حتى يدرك هؤلاء طبائع الأمور

وحقيقتها، وحتى يتغلبوا على درجات متعددة من عدم المعرفة بطبائع الأمور في السياسة والحكم.

وبعد عام وشهور من الانقلاب بدأ السياسيون يستمعون إلى همس أمني يتبنى الاصطفاف أو المطالبة بإلغاء الحياة الحزبية وليس بحل أكبر حزب فقط، كما أن الأجهزة الانقلابية باتت تريد أن تظهر سطوتها على نحو سافر، وهي تحاول أن تتحسس بمثل هذا اللغظ عناصر التواطؤ الدولي وحدود قدرته على التدخل في هذه الأمور، وقد فاتها أن هذه الدول لا تشغل بالها بأمن الدولة المصرية، وإنما بأثر هذا الأمن على الدول المجاورة.

تعقيبات

محمد

«أهم علوم السياسة والملك عبر التاريخ علم المخابرات ومعرفة الأعداء ومخططاتهم والعلم الآخر علم التحالفات وكسب الأصدقاء وكسر العداوات».

عبده

«كان البكباشي جمال عبدالناصر في صيف عام ١٩٤٨ محاصرا في بلدة الفالوجة بفلسطين على رأس قوة صغيرة من الجيش المصرى وكان يجتمع كثيرا مع ضباط المخابرات الإسرائيلية الذين ناقشوا معه فكرة حركة الضباط الأحرار ووعدوه بالدعم والمساعدة حتى يستتب له الأمر».

الحائر

«نعم، فإذا توأما الشعب بجميع طوائفه الاجتماعية، أكاديمية أو عاملة، وإن قلت الشعب فلا أعنى إلا الناضج منهم فكريا وثقافة علمية وعملية كتقويم تذكيري لأحداث الماضي ونتائجه البشعة على تطور المناخ السياسى عامة والاجتماعى خاصة، فسينهى هذا الانقلاب العسكرى الخائن، وليس فقط على التجربة الديمقراطية والحزبية، بل وأيضا على التركيبية الخلقية بانتشار الرذيلة بجميع معلقاتها الفاسدة من رشاوى إلى سرقة ونهب وظلم واستبداد واعتداءات على حقوق الحريات الشرعية للفرد وخذل النساء والضعفاء. وهكذا تضيع الأمة بضياع أخلاقها».

الحق المر

«أرجو أن نكف عن قول ثورة ١٩٥٢. لقد كان انقلابا كامل الأركان وبمساندة قوى خارجية مثل انقلاب ٢٠١٣ تماما».

خلاص أنهاها الانقلاب

«كلما وافق مرسي على قرار بخلاف الشرع مراعاة للأكثرية كما هو سنة الديمقراطية. قالوا إنه كفر».

وجاء الانقلاب فأهني أي محاولة لترسيخ الديمقراطية. وهم يلمعون السيسي الضعيف ليكون دكتاتورًا مستبدًا لكن صفاته النفسية والجسدية وثقافة العصر لا تؤهله لذلك».

مراقب من مصر

«أضحك كثيرا عندما أجد الإخوان أو المواليين لهم يتحدثون عن الديمقراطية وهم من تربوا على السمع والطاعة. فمن تربى على السمع والطاعة ليس له علاقة بالديموقراطية لا من قريب ولا من بعيد».

Mohamed

«ليعلم هذا (. .) الذي يتحدث عن الطاعة التي يلتزم بها أفراد الإخوان المسلمون تجاه قادتهم بأنها سلوك أخلاقي رفيع وانضباط في إطار الإسلام الحنيف في الطاعة بالمعروف (لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق) وليست مثل طاعة البيادة (. .) في قتل وسفك دماء الأبرياء وانتهاك حرمت المصريين والمصريات».

عابر مشاهد

«شرح وتحليل رائع جدا لواقع مؤسف ومؤلم ، يجب على كل من يهيمه أمر التعايش في الوطن إدراكه وفهمه ، إلا من مجادل أو منكر لماضي مخز أو حاضر مؤلم مفرغ ، لمستقبل متقهقر مظلم ، إن لم يدرك كل مواطن بمختلف إنتهائه السياسى والفكرى لهذه الحقائق فىلى دمار، وانفجار ليس من السهل استنباط نتائجه».

«شكرا للكاتب الفاضل».

مصري

«نعم وثم ماذا بعد؟ كيف يستعيد الشعب حريته وكرامته وثورته قبل فوات الأوان ودمار البلاد والعباد؟».



الفصل الخامس ماذا بعد الانقلاب؟

١

تصور الانقلابيون في مصر أن الأمر لن يتعدى أسبوعا من الزمن حتى تستقر لهم الأمور، لكن الأسابيع مضت بينما الاحتجاجات الشعبية تتصاعد إلى حد مذهل.

وبدلا من مراجعة تقديراتهم بدأ الانقلابيون يراجعون أوراق الشعب ومن ثم إعادة تشكيل العلاقات الحاكمة للرأي العام، وذلك من خلال عدة محاور مخبرانية الأساس أمنية الطابع. وفي هذا الصدد نجحوا حيناً وأخفقوا في أحيان أخرى، وربما كان من المفيد أن نتأمل في بعض الديناميات التي حكمت الصراع في الأسابيع الماضية.

بدأ الانقلابيون على سبيل المثال متصورين بل متأكدين أن بإمكانهم أن يعيدوا إيجاد وتوسعة الحظيرة التي كانت بمثابة الملاذ الآمن لمجموعات من المشتغلين بالثقافة في عهد الوزير الأطول عمرا بالثقافة ووزارتها.

ومن هنا لجأت الدولة العميقة في مصر إلى استعادة علاقاتها الوثيقة (أو بتعبير أدق: السلطوية) بكتاب وصحفيين كانت قد ابتعدت عنهم أو أبعدهم أو تركتهم يتعدون أو فرحت بهم وهم يتباعدون، وتمت آليات الاستعادة من خلال توظيف واستثارة علاقات الشللية التي من المعروف أنها هي أبرز علاقات سائدة في مجتمعات المشتغلين بالثقافة.

وهكذا لم يكن أمر تشكيل حظيرة جديدة من المنتفعين صعبا وإن لم يكن مأمونا تماما، والسبب بسيط، وهو أن تطلعات هؤلاء ومقارناتهم المستمرة لمزاياهم غير الشرعية ستتكفل سريعا بصراعات نفسية تنتج على نحو ما حدث بالفعل رغبات محمومة في التسريب المحموم، وهي رغبات كفيفة بأن تنتهي بتفكيك النظام على نحو ما حدث في عهد مبارك.

وليس سرا أن غرفة عمليات الثقافة أطلقت كثيرا من النيران الصديقة التي أذت

النظام الانقلابي من حيث لم يكن يحتسب.

٢

في مرحلة مبكرة بدأ أيضا للانقلابيين في مصر أن الإعلام المصري قد ارتاح لوجود الانقلاب العسكري، وأنه سيظل يسبح بحمده ومشروعيته وضرورته وعبقريته دون ملل، لكن الظروف الذكية سرعان ما بينت للانقلابيين أن تكلفة التأييد الإعلامي أبهظ مما كانوا يتصورون، فسرعان ما بدأت الفواتير المطلوبة للسداد (نقدا وحالا) في التوالي على مكاتب رجال الانقلاب، وفي تلك اللحظة لم يكن هؤلاء الانقلابيون يملكون ترف إعلان عدم اقتناعهم بمعقولية كثير من بنود الفواتير فضلا عن مشروعيته.

وليس سرا أن أحد كبار رجال الانقلاب قد أحال بعض هذه الفواتير على خبير إعلامي وإعلاني يمت بصلة النسب لأحد كبار المنظرين للانقلاب، وكانت النتيجة التي يمكن تلخيصها في سطر واحد: أن تكلفة المساحة الإعلانية في إعلامنا المحلي تتراوح بين ٢٠٠٪ و ٢٥٠٪ من تكلفة المساحة النظرية في الإعلام العالي عابر القارات.

وينطبق هذا على الدقيقة في القنوات التلفزيونية كما ينطبق على السطر الواحد في الصحف، ولما فكر أحد كبار الانقلابيين في الإفادة من حليب التلفزيون المملوك للدولة أيده الباقون، لكنهم سرعان ما اكتشفوا أن شراء اللبن الحليب من الأسواق مبسترا ومعلبا لن يصل بأي حال إلى تكلفة عملية الحلب وحدها. ومع هذا فإن حق الأرنب والأفواه في ماسبيرو (وهو الاسم الرمزي المختصر للتلفزيون والإذاعة المصريين) أجبر الدولة على تخصيص مليارات الجنيهات لعملية تطوير وهمية وجديدة تصب في النهاية في المحافظ الشخصية التي هي مثقوبة على حد تعبير المصريين.

٣

رغم الحملات الإعلامية المحمومة في خلق شرعية للانقلاب فوجئت إدارات التوجيه المعنوية بتسريب كثير من أسرارها الحربية والمخابراتية، وقد حدث التسريب في كل مرة صوتا وصورة وبما لا يدع مجالا للشك في صحة ما قد تسرب وفيما يدل عليه، وربما كان فيديو المشايخ الثلاثة (اثنان منها خريجا كليات التجارة) دالا دلالة واضحة على

نوع فجع من الإعلام التعبوي لا التوجيه المعنوي فحسب. وقد خلق التسريب حالة مثالية من حالات التخريب الأوتوماتيكي لمنظومة لا أخلاقية وظفت المشاعر في غير مسارها الطبيعي بقصد وترصد.

بيد أنه في المقابل دفع الانقلابيين إلى التفكير الملح في ضرورة إيجاد آليات لتأمين خططهم وخطهم، وسرعان ما وقع الانقلابيون أسرى فكرة الاستعانة ببيوت خبرة أجنبية تضمن لهم النجاة من تطفل مواقع التواصل الاجتماعي - مع أن هذا غير ممكن بالطبع - لكن الإلحاح في تسويق الفكرة جعل الانقلابيين يرحبون بأن يحاولوا إيجاد علاج مكلف، لأنهم يرغبون بشدة في النجاة تماما من السرطان بقدر الإمكان، ولم يختلف الأمر في حالتهم عن وضع مريض السرطان الذي يتعلق بما يسمى مجازا بقشة الغريق، رغم أن هذا المريض كان قد تمكن من أن يركب الباخرة الآمنة بمقاييسه هو.

٤

جاء تناقض الخطاب الانقلابي مع ذاته ليضفي بعدا قاتلا على الصورة الذهنية للانقلاب، وعلى سبيل المثال أصبح الحديث عن القائد العسكري للانقلاب يصوره على أنه المسيح المخلص عند البعض أو عند القلة حين تعددت الصور غير الباهرة له عند الآخرين.

وقد تراوحت هذه الصور بين صورة الأجير القادر الذي أنجز مهمة وبات ينتظر المقابل، أو الأجير الذي اندفع إلى تحقيق هذا الإنجاز تحت تأثير وهم الزعامة، أو المحارب الذي وقع ضحية لأزمة عابرة من أزمت منتصف العمر، أو السياسي الخاضع للأمرين تماما ولأوامرهم، وأنه هو الذي نال رتبة الرضا الأولى حتى وإن عجز عن الاحتفاظ بها.

٥

إذا كان من الجائز تلخيص هذه التصويرات في كلمة واحدة لكل منها، فإن وضع القائد يتراوح بين المسيح والمقاول والموهوم والمراهق والعميل. وفي كل الأحوال فإنها في مجملها أو صاف لا تريح.

٦

تفاوتت وتعددت أسباب السعادة عند حلفاء العسكر، فحزب النور شامت حتى النهاية في الإخوان الذين لم يستمعوا لنصحه المبكر، ويبدو وكأنهم اكتفوا بالشماتة، والناصريون شامتون في ضحايا ناصر الذي ظنوه ناصرا فردا بينما هو توجه قسري وقهري وعميق. ويبدو أنهم هم أيضا قد اكتفوا بالشماتة، والوفديون الجدد وهم شامتون منذ زمن أبعد في الإخوان الذين لم يقدرُوا قيمتهم وأقدميتهم.

أما عبد المنعم ومحمد سليم فيقولان بطريقة ملتوية إنها (كلا على حدة بالطبع) كانا أقدر على الالتواء الواقعي من الانقلاب.

٧

من حسن الحظ أن للشعب المصري رأيا آخر، وهو رأي أعمق وأصوب وأهدى.

تعقيبات

Med Ess

بارك الله فيك وربّي يحفظك.

أبو محسن:

جزى الله الدكتور الجوادى كل خير ونسأل الله أن يشبته دائما على الحق.

Mghari Abdelmajid

هذه هي الأفلام المتحررة من ثقافة التعليقات والنطق بالمسموح به والمكتوب في دهاليز الأمن والعسكر، حقاً هو الدكتور الجوادى جاد علينا بهذه القراءة التاريخية للانقلاب النكد. أتمنى من كل من له القدرة على تعميق البحث في هذه الجريمة الانقلابية، أن لا يبخل ولا يتوانى لحظة واحدة قصد فضح السيسي وأعوانه أعضاء خليته عفاوا حكومته!! وفي الأخير أود أن أهمس في أذن كل قارئ أن كل ما يحدث الآن في مص وسوريا وغيرها هو من قدر الله - تعالى - وإرادته والله لا يعبث في كونه، وكل شيء عنده بمقدار، لكن هل نستسلم للقدر.

عاهد حسونة

كلمة حق أمام سلاطين جائرين، الدكتور الجوادى من القلائل المصريين الأحرار الذين لم يتم اعتقالهم، أرجو له السلامة.

Mahmood Farhat

بارك الله فيك وفي أمثالك الشرفاء.

همزة الليبي

كلام منطقي وصحيح ١٠٠٪ كعادتك يادكتور محمد الجوادى. أنت إنسان جد جد جد محترم ربنا يعطيك الصحة ويحميك من كل سوء.

صالح علي صالح

سقط الكثير من الكتاب والصحفيين الذين كنا نحترمهم وازداد احترامنا للكتاب أمثال محمد الجوادى.

بالرغم من إختلافنا مع الإخوان في السودان إلا أننا لا نملك إلا أن ننحني للشعب المصري الباسل في مقاومة الظلم والفساد.

ماهر/ اكتب لنا عن المستقبل:

الفذ الدكتور المؤرخ محمد الجوادى من أوزن العقلية العربية والمصرية التي تتحدث بعمق وتحلل برؤى استراتيجية معتبرة، وتحظى باحترام الخصوم قبل الأصحاب. لكن يبدو أن المقالة كتبت على عجل، بالرغم من وضوح أفكارها. أتمنى على المؤرخ البار أن يكتب مجموعة حلقات عن الانقلاب (٢٠٪) وعن الرؤى الاستراتيجية للأشهر القادمة (٨٠٪) فالأمة بحاجة إلى قراءة استراتيجية معمقة. ود. الجوادى يمتلك مقومات تقديم هذه القراءة المعمقة. مع خالص التقدير من ملايين المتابعين والمعجبين.

ثائر من تونس

تحية للمفكر المؤرخ محمد الجوادى على فهمه السيكلوجي العميق لظاهرة الانقلاب على الشرعية في أرض الكنانة وتفكيكه لأحوال القائمين عليه تنفيذاً وتحريضاً.

Amal El Shormolisy

مطار طير وارتفع إلا كما طار وقع، ولقد علا هؤلاء المجرمون علوا كبيرا وكما علوا سيعودون حتى تنكسر رقابهم بإذن الله وسبحان الله عز جلاله.

Bahy Refai

الرجاء قراءة المقال كاملا.

Nasser

لقد مررت هنا فسجلت مروري، تحيتي لزوار الجزيرة مؤيدي الشرعية وللكتاب.

Basma Bosy

د. الجوادى من أجود العقول المصرية.

Wagdy Afify

تحليل الجوادى لا نشكك فيه ولكن التخطيط الأميركي هو تملك مصر لإسرائيل بعد إفلاسها الذي نرى بوادره وسيحدث ذلك يوم ٤ ديسمبر!!! ولكن أي عام لا أدري (هذا جزء من نبوءة تحقق الكثير منها) والله أعلم ولكن ٤ ديسمبر سيغفلون. من وعن ماذا الله أعلم.

محمود ربيع

الدكتور الجوادى أكثر قدره على تحليل نفسية هذا القائد الهام من أساتذة علم النفس فهو ليس مورخا سياسيا فحسب بل فيلسوفا ومؤسسا لنظريات هي أقرب إلى الواقع المثالي من خلال تحليل للشخصية المصرية.

Ahmed Haridy

ألا يعلمون أن الله يعلم السر وما أخفي ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون.

إدريس عبي

شكرا أستاذنا الكبير الجوادى.. لقد أسمعت من به صمم وأسمح لي لأقول مضيئا إن ما يحدث لا تحسبوه شرا إذ لا بد من التمحيص والغربة وإن كان مكلفا لأن ما ينفع الناس سيبقى وأما الزبد فيذهب جفاء وما وصفته هو الذي ما بين ٢٥ يناير وما نتمنى أن يكون بإذن الله.

أحمد المصري:

مقالة ممتازة توضح قراءة مهمة لواقع الانقلاب بمصر في اللحظة الحالية.

Mansouri Salim

السيناريو ١: وهو الأقرب والمحبد. انقلاب الجيش على نفسه وترجع الشرعية كاملة لا نصفها ولا ربعها أو ربما يجري استفتاء أو ما شابه ذلك من ترقيعات. هنا يجاور السيسي بن علي في السعودية أو ظاهرة مصير القذافي أو ربما الاستقالة واللجوء سريعا إلى داعميه وكفى الله بذلك المؤمنين شر القتال وبقية انهيال الاقتصاد بالكامل. فإذا انهار الاقتصاد فعندئذ لا منتصر وتبدأ الهجرة بشكل جماعي لطلب الرزق في مناكب الأرض وتبدأ التفجيرات التي لن يعرف من ينفذها.

السيناريو ٢: تمادي الانقلابيين لمدة أسابيع أو حتى أشهر معدودة لا أكثر في إرهاب الأمنيين بقوة السلاح وسجنهم وإهانتهم وتهديدهم بقطع رواتبهم إن لم يكفوا عن العصيان والتظاهر. إن لم يستجيب الشعب ولن يستجيب ولا يخنع فعندئذ يقوم الانقلابيون بمناورات بين الترغيب والترهيب وإطلاق سراح بعض رموز الشرعية والدعوة للتفاوض والاعتراف بخارطة الطريق. سيرفض الشعب وينهار

الاقتصاد والسيناريو الأول هو إذن الأكثر احتمالاً.

السيناريو ٣: بعد فشل السيناريو ٢ ينفذ الانقلابيون بمساعدة الموساد وربما بعض دول الخليج وعلى شاكلة بشار وزمرته أعمال إرهابية وتلفيقها للإخوان ثم جرهم مرغمين للقتال وهذا في الأساس ما كان يعتقد ويتمناه الانقلابيون ان يحدث عندما خططوا للانقلاب وحينئذ تمنع المظاهرات وينهار الاقتصاد تماماً وتدخل مصر في نفق مظلم لا يعلم نهايته إلا الله. . فيبقى السيناريو ١ هو أهون وأسرع الحلول.

Ktketo Bony

يظنون أن الشعب مجموعة من البلهاء بالرغم من أنهم هم البلهاء ولكن لا يعلمون ، فلم يجلس أحدهم مع رجل على رمل سيناء أو أرض مطروح أو رجال الصعيد ليكتشف أنه أبعد ذكاءً منه وأسرع بديهية ، وعنده مقدرة عجيبة على وزن محدثه وبنظرة ثابتة ، فكل هؤلاء . الذكاء عندهم فُطرة . ولكن الأغبياء لا يستوعبون الدرس على الرغم من بساطته ، فهم لا يفهمون في غير (صفا وإتباء).

Mohamed Salem

الثورة في مصر تسير على خطى الثورة السورية في من يمسك بقبضة الحكم وهو الجيش، ومن حسن حظ مصر أن الله أوجد الصورة السورية تمر أماننا أولاً اليوم باليوم والشهر بالشهر والحدث بالحدث، سواء كان قتلاً أو تشريداً أو تعذيباً أو عداوة المجتمع وانقسامه على بعضه، عسى أن نتعلم من إخواننا في سوريا، وقد صيرونا أعداءً نكره بعضنا بعضاً ونفرح ونشمت حتى في موتنا وقتلنا بعضاً . من الذى أوجد هذه الكراهية الحديثة المستحدثة؟

mabrouk elmasry

طلب من مواطن مصرى إلى الفريق عبد الفتاح السيسى ممكن تترك الميادين عشان نشوف الحجم الحقيقى للمظاهرات المؤيدة للشرعية .

Badis

أعتقد أن الثورة المصرية ستتصر على حزب الانقلاب إن شاء الله، وشكراً للكاتب.

نوزاد قره داغي

مقالة رائعة ، المهم التركيز على صور الكاميرات واليوتيوب والفيس لأنها تقابل الإعلام الانقلابي الذي يتخبط في الدجل والكذب وينفق ميزانية البلاد والعباد في في شراء إعلاميين يسبحون بحمد السيسي صباحا ومساء ، ومع الوقت لن يبقى مع السيسي إلا شلة من الانتهازيين والمأجورين الذين ينتظرون الإعانات السعودية لتمويل كذبهم .

walid de

أمة مصر الحل الوحيد هو المقاومة المسلحة، وسوف ترون كيف (. . .) السيسي (. . .)، سوف

يهربون إلى البلدان التي تدعمهم، الذين قتلوا الناس لا يستحقون الرحمة، الحل الوحيد هو المقاومة المسلحة الحل الوحيد هو المقاومة المسلحة.

مهدي، ثورة ثورة سلمية

أقول للأخ ولبيد أن حمل السلاح ليس هو الحل، الحل هو المظاهرات السلمية في جميع مدن مصر.

نبيل، نعمة الحرية

أولا أشكر الأستاذ المتحضر وبارك الله فيه، أقول لقد حذرت قبل الانقلاب من حزب السيسي وقلت إن السيسي والبرداعي وعمرو موسى و... (..). وقلت، هؤلاء خطر على مصر والمصريين. وما هو الحل الآن؟ الحل هو: يجب على المصريين أن ينزلوا إلى الشوارع قبل فوات الأوان، لأن حكم العسكر يعني: الظلم والاستبداد والفقر والجهل والتخلف... وأخيرا تحيتي لأصحاب المواقف والمبادئ وشكرا للجزيرة.

جواد العربي

ماذا بعد الانقلاب؟ أرى أن الانقلابيين فشلوا في كل شيء، لقد بدأ بعض من الانقلابيين بالاستعداد للهروب إلى الدول التي ساهمت في الانقلاب الدموي. الانقلابيون قتلوا آلاف من المتظاهرين السلميين في الميادين والشوارع... وقام جيش السيسي بقتل الشرطة في سيناء ثم بعد ذلك أمر السيسي القوة الخاصة بقتل الجيش في سيناء. كان هدف السيسي جر مصر إلى حرب أهلية... لكن الحمد لله الشعب المصري اكتشف السيسيين وهدفهم الحقيقي، هاهو الشعب المصري الآن كله يتحد من أجل استكمال ثورة ٢٥ يناير.

علي بن عباس

المعضلة المستعصية في حالة الاستقطاب الحادة في مصر: تحول القوة إلى حق والحق إلى قوة. وثمة فئة لا تريد أن تستوعب هذا الانقلاب في المفاهيم. هذا جوهر الانقلاب.

الدهيمي لقرع. الجزائر

شكرا لك يا دكتور على هذا التحليل العميق؛ إنني أتابع تحليلاتك الدقيقة المليئة بروافد التاريخ والأدب والواقع؛ فأقول شكرا للجزيرة إذا أحسنت اختيار محلليها في هذه المرحلة العصبية من تاريخ أمتنا. فلترفع يا دكتور درجة التفاؤل عند الشعب، وامنحه مزيدا من طاقة الثبات والاستمرار.

البشير

ببساطة وحتى لا نعقد الأمور الذي يجري هو الصراع بين الحق والباطل، ونحن جزء من هذا التاريخ الذي سيذكر أقواما فيجلهم وآخرين فيحقرهم ويلعنهم اللاعنون.

محمد العبيدي

السلام عليكم أنا متابع كافة تحليلات على الأزمة في المنطقة لكن هناك موضوع أتصور هو الأقرب إلى الواقع إنه ثمن الانقلاب في مصر هو إسقاط نظام بشار لذلك إنه تصريح الروسي الأمريكي حول استخدام النظام السوري أسلحة محرمة سنة ٢٠١٢ أين كان الاستخبارات الغربية سابقا؟ شكرا.

أحمد مصطفى صالح

سيدي العزيز من سوء حظي أنني تعرفت علي حضرتك متأخرًا بعض الشيء ولكني أتساءل لماذا نفكر بالعكس دائماً. نحن في القرن الحادي والعشرين نستلهم سعد زغلول وعبد الناصر. . . . إلخ ونتعصب مع أنهم بشر وكانوا في مرحلة ما. العالم معجب بتشارلز ديكنز ولكن أنتج روايات أعظم لعصر مختلف فيها الفضاء.

سردار:

أدعو الله - تعالى - أن يوفق هذا الأستاذ الفاضل الذي حين يتكلم ويحيب عن السؤالات؛ يعيد السرور إلى قلبي الحزين الذي يرى المشاهد الحزينة في ساحات المصر الكئيبة.

Ahmed Elgohary

شكرا د جوادي ويسقط يسقط حكم العسكر الفاشل الدموي.

الحمد لله:

من حسن الحظ أن للشعب المصري رأيا آخر، وهو رأي أعمق وأصوب وأهدى.

Rajab Hajer

مقال رائع وتحليل سديد.

Kotaiba

هناك فتنة من العباد يجبون الطغاة ولا يجبون أهل الصلاح ولو كان أهل الصلاح أنبياء، قال الله - تعالى - : وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد. سبحانه الله رب العرش العظيم، قوم في مصر كثر كثير يجبون الطغاة ولا يجبون من يسكنون شققا بالإيجار ويخرجون بلا حمايات وهم قادة لأمة مصر، بل يجبون من يقتل الناس بغير حق بأبشع الصور، حتى بات من قتلوا برابرة أكثر مما حاول بشار قتلهم بالكيماوي في يوم واحد، هذا الحب للطغاة مستشري في العراق أيضا وفي باقي الدول العربية للأسف، أصلح الله أمتنا.

Hassan

أنعلمون ما هو الاكتشاف العظيم للانقلاب العسكري والإعلام المصري والذي لم يستطع لا العالم ولا الملك فاروق ولا عبدالناصر ولا السادات ولا مبارك اكتشافه. . . أن جماعة الإخوان المسلمين

تنظيم إرهابي مسلح!!!.

Habib

بمحاكمة الوزراء السابقين، يحفر السيبي قبره يا ترى؟.

أحمد

أنتهز هذه الفرصة لأقف احتراما وإجلالا لك أستاذ محمد الجوادي. كم أنت تدافع بكل قواك عن مصر الحبيبة. أنت الفارس المجهول في هذة المحنة التي يمر بها أخواننا المصريون. نحن في السعودية وفي الخليج، شعوبا، معكم ومع الشرعية، ندعو الله أن ينصر المظلومين على الخونة والانقلابيين المستبدين.

أنت أستاذ محمد وزملاءك في طريق الحق ولن يخذلكم الله أبدا. أسأل الله أن يمكنك وزملاءك من الاستمرار في فضح هذا الانقلاب وأركانه وأن يعينكم على إعادة الحق إلى نصابه. إلى الإمام أستاذ محمد الجوادي والله معكم.

Wael Rizk

أقدم أسمى درجات التقدير والإعجاب إلى السيد الدكتور الجوادي فالرجال يعرفون بالحق في زمن قل فيه الرجال.

مصرى

عندنا يصحو الشعب على قطع كهرباء أمس ٨ مرات وكل مرة ساعة فأكثر وك الكوسة ب ١٠ جنيه والسلع الغذائية ممنوعة والبلطجية يسومونهم العذاب. تجده له رأى آخر وبملا الميادين.

Abou Omar

جزاك الله كل خير عن صدقك، أعتز بك كمسلم لا يقبل العبودية.

basem ahmad

بفضل الله عز وجل ستظل مصر أمة عظيمة تصنع التاريخ رجال مثل الدكتور محمد الجوادي برجاء التركيز في الفترة القادمة بتحليل المستقبل القريب من الناحية الاقتصادية والاجتماعية لأنها الأقرب إلى نهاية الانقلاب العسكري وبناء جبهة شعبية مصرية متماسكة لعودة الشرعية.

على عبدالفتاح

بارك الله فيك يادكتور وأسأل الله أن يجعل دماء الشهداء والمصابين نعمة علي الانقلابيين في الدنيا والاخرة.

مقبل عثرات الكرام

عند الشدائد تظهر نفاسة المعدن معدن الإخوان المسلمين من الذهب الخالص وكل يوم تثبت الأيام صدق دعوتهم وأهليتهم لأستاذية العالم.

Moly Alsergany

كم أنت راتع يا دكتور جوادى!!

Ahmed Sabik

حقاً من وعى التاريخ فقد أضاف إلى عمره أعماراً.

علي

ماذا بعد الانقلاب؟؟؟ السبيل الوحيد للخروج من هذه المأساة للبعض والمهابة للبعض والملحمة التاريخية للشعب المصري والعربي هو أن يخرج قائد من الجيش المصري ويزيل السيسي ويخرج المساجين وتكوين رئيس من الشخصيات التاريخية المتوافق عليها لفترة مرقة وتحديد تاريخ انتخابات وتعويض كل المصوريين مدياً ومعنوياً تحت إشراف قضاة شرفاً...!!

Aziz Qefur

بارك الله في الأستاذ محمد الجوادى، الانقلاب الآن بات مثقلاً كاهله بالفواتير ولكن عناده يذهب به إلى التنازلات الخارجية لأعداء الأمة بدل من أن يلبي لطموحات الشعب، ولذلك اقترح فضح هذه التنازلات والفواتير الباهضة في منشور خاص بهذا المجال في صورة منشور ينشر بطريقة تنظيمية (لكون المنشورات المعارضة للانقلاب ممنوعة) وبالتزامن في صورة صفحة في فيسبوك أو تويتر يتم الإعلان لها حتى يعلم جميع أبناء الشعب المصري هذه الحقائق ويكون دافعاً ثقافياً قوياً لعامة الشعب ويكون بلغة الأرقام كي يفهمه الجميع.

أميرة عثمان السنوسى

تحية للأستاذ محمد وأشكرك وأنتمى أن تسمح لي فقط أن أدعوك لزيارتنا في غرب أفريقيا وبخصوص إلى دوله غانا حتى تأخذ فكره عن نموذج للديمقراطية وباختصار لقد كان هناك انتخابات للفوز بكرسى الحكم وبعد فرز الأصوات أعلنت المحكمة الدستورية فوز الحزب الحاكم الآن واعترض المرشح الآخر على النتيجة وأصر بإعادة الانتخابات ولقد رفضت المحكمة مراعاة لمعاناة الشعب وأمر الآخر باللجوء للقضاة وبعد مدولات استمرت ٨ شهور أعلنت المحكمة بعدم الغش في الانتخابات وبعد ساعة اتصل المرشح الآخر وقدم له التهئة ووعد للترشيح للفترة القادمة.

حاتم مدكور

صح لسانك يا دكتور جوادى أنا فعلاً مقدر لمجهودك العظيم لتوضيح الأمر للناس وجزاك الله عنا كل خير.

طارق ماضى

كما عودتنا دائماً.. هذا عهدنا بك في تحليل الواقع.

Ali Almaghrebi

تحليل دقيق ومنسجم مع الأسلوب والمعاني وحسب استنتاجي وبأسلوب البسيط أعتقد أن مخططي الانقلاب اعتمدوا على نظرية فرض توازن جديد مروراً بعدم الاستقرار (الانقلاب) لذلك نلاحظ أن من المؤدين لهذا الانقلاب انطلقوا في حملة انتخابية وآخرون ابتعدوا عن المشهد الانقلابي وكأنه في نهاية برنامجه الانتخابي سيقدمون قائد الانقلاب ككبش فداء لكن الانقلابيين لم يدركوا أن المخطط وقع في الماء وأن المعادلات المعتمدة لم تعد صالحة وبالتالي فالحسابات أصبحت شاقة وطويلة.

شريف وهدان

شكراً يا دكتور ما أجمل وأعظم كلماتك إنك فعلاً تستحق كل احترام وتقدير لكن من الأفضل أن تكون أكثر شدة علي هؤلاء الواهمين علي أن الرئيس مرسي أخطأ وأن الإخوان ليسوا في المستوى أقول العكس صحيح أن مرسي أخطأه حسنات وأن الإخوان شرفاء يستحقون كل التقدير والتاريخ سوف يثبت ذلك. شكراً لك يا دكتور. . . .

Waleed Hamad

عند انكسار حاجز الخوف لدى الشعب و يقينه بأن كتلة الانقلاب كالمرض . . في جسده فلن يتوانى الشعب في استئصال هذا المرض مهما كلفه من ألم ليضمن لنفسه عيشة آمنة بقية حياته.

رشدي

شكرا للسيد الجوادى الصادق الأمين.

Muslimah Mostafa

تحليلاتك رائعة يا دكتور محمد الجوادى . . أسلوبك في الكلام أسر . . وحتى تفكهااتك تضفي على حديثك حسنا أخاذ . . أتمنى أن أسمع كل محاضراتك . . وأقرأ كل كتبك . . سلم فمك وسلمت يداك .

عاطف الفرخ

أستاذنا الفاضل دائماً متمننا بأفكارك وأرائك الجريئة والحكيمة والتي تدرج تحت قول الحق . . . فالحق له رجاله والرجال أصبحوا عمله نادرة في هذا الزمن . فشكر رررررررررررر لك .

نور الدين المغربي

أعتقد أن الانقلابيين يعانون . لا تدعوهم يخلقوا الطرف الثالث الذي هو في الواقع نسخة أكثر ذكاء من الانقلابيين الأغبياء .

مالك عبد الله . كندا

كل له أجنده إلا الشعب المصري الذي اختار الإخوان وكان اختياره موفقا مصر القوية والسلفيين

وغيرهم كشفوا عن أنفسهم مصلحتهم أولاً أما الإخوان الذين ضحوا ويضحون بالغالي والنفيس من أجل دينهم وشعبهم.

omar jbr

أصحاب المبادئ لا يتبدلون ولا يتحولون. مصر بحاجة إلى شرفاء كهؤلاء (الجوادى) يعارضون ويتنقدون لمصلحة مصر وليس لهوى أو مرض.

Fahd Abdulaziz

أعتقد أن الانقلاب سيفشل ولكن يوجد قادة جيش أمناء إن شاء الله.

شريف حمدى

الصمود الصمود لن ينهزم الانقلاب في مسيره أو اعتصام ولكن الصمود والنزول إلى الميادين ليل نهار التصعيد بالوسائل السلمية التي لا نمتلك غيرها ليس المهم أن نصل لكن المهم أن نكون على الطريق حتى يستعملنا الله ولا يستبدلنا.

عبدالرحمن

حتى لو لم يكن السيسي طامحا إلى الحكم في بداية انقلابه فمن الواضح الآن أن الحكم قد أصبح ملاذه الآمن إذ لا مخرج آمنة له أبدا إلا الهرب. هو يعلم فداحة ما اقترفت يدها وسوف تكون قضيته الوحيدة التي يعمل من أجلها هي أن لا يقف أمام قاضي عادل. فمن ينقلب يظل أسير انقلابه إلى الأبد.

Khalil Moustafa

أثبت الشعب المصري النائر ضد الانقلابيين النازيين المعتصبين للسلطة في مصر أن إرادته لن تنكسر رغم اعتقال كل قيادات تكتل من أجل الشرعية وأنه مستمر في ثورته السلمية وهذا ما أكدته المسيرات التي خرجت في ٢٧ محافظة والتي ملأت كل شوارع مصر رغم التضييق والعنف الذي يأتي كما العادة من نفس المصدر وقد جلبت شبابا آخرين لم يكونوا في الميادين المعروفة وهي في الحقيقة موجة ثورية جديدة تستحق الاحترام والتأييد وسيسقط الانقلاب والفلول ومصيره إلى (. . .) التاريخ.

مدني:

الواقع أن الأحزاب العلمانية واليسارية وغيرها التي لم تُعرف بالديموقراطية استخدمت العسكر ليكون لسان حالها: عليّ وعلى أعدائي.

جزائري يحترم الجوادى

شكرا لك يا أستاذ مادام مصر فيها أمثالك فلا نخاف ولا نحزن أنت المنارة وأنت بألف ألف

رجل.

رياض . . فلسطيني يعشق مصر

مقال رائع لمفكر رائع. اعلموا أن الأمور تجري بمقادير وأن ما حصل بمصر كان مخطط له ولكنني أجزم أنه بإذن الله خير. فلقد ماز الله الخبيث من الطيب وفضح القوم على رؤوس الاشهاد. فلننس الفلول وأعوانهم فهذا متوقع منهم. إني أرى أن الفضيحة الكبرى والموقف المخزي كان لحزب النور الذي كان بشكل مباشر أو غير مباشر شريكا بالدماء. الثورة مستمرة ومصر ولادة وأهل مصر الشرفاء وكتابها ومثقفوها النجباء وعمالها وفلاحها لن يرضوا بالحكم العسكري من جديد. تحية خاصة للدكتور محمد الجوادي لا تضيع دولة فيها أمثالك.

Hossam

هؤلاء فصيل من المخلوقات لا يتطور ولا يعرف للمراحل والتجارب مفهوم أو معنى، هؤلاء يعيشون في دائرة نواتها متوقفة وشعاعها غير قادر على الحركة الفكرية المنطقية، مثل هذا البشر مصالحتهم الضيقة تغرقهم في نهر من السراب ويعتقدون أن الناس جبناء يمدعهم الإعلام ولكن هيئات ما كان لأحد اليوم أن ينخدع بقنوات خسيصة وجرائد باهتة، نحن اليوم نطمح للعدالة اجتماعية ملموسة (. . .).

Raafat

إلى الأستاذ الفاضل محمد الجوادي أتابع تحليلاتك السياسية في قناة الجزيرة وأحسبك عندالله ممن يقولون الحق ولا أذكى على الله أحد، ختاماً أنت رجل محترم.

رضا

حكّام والمعارضة والاستبداديون والمفسدون كلهم لا يتقبلون الحق وكلهم أحاديوا النظر والبعد السياسي (. . .) الانقلابيون ليسوا أذكيا وليس لهم دهاء سياسي. الإخوان لا يستعملوا الذكاء والدهاء وهذا من الكبر المخفي.

حكيم

الجميع يعرف أن مصر ستخوض حرباً ضد جماعة منظمة لا تمانع من اتباع كل الوسائل من عنف أو تخاير أو استقواء بالخارج، الكل يعرف ذلك ولدى مصر التي تبحث عن نفسها أن تتحرر من طوق الإخوان وهي معركة الكل يعرف أنها ليست سهلة ولا مجال لخسارتها حتى لا تضيع مصر.

Hakim

[ردا علي التعليق السابق مباشرة]

إنت لست حكيمًا يا حكيم!! بغض نضر عن جماعة هل ترضى أنت بأن يحكمك سفاح الجيش لحياة الوطن من عدو خارجي فقط.

أكمل الصعيدي

ليس صحيحا يا حكيم إنكم تحاربون إرهاب وقتلة وكيف للإرهابيين أن يسحقوا ويموتوا بالآلاف في ساحات النهضة ورابعة والحرس الجمهوري ولا يردون وكيف يقتلون بالآلاف ولم نر سلاحا ولا مقاومة وكيف تقتل النساء وتنتهك أعراضهن وهن صابرات هل تعلم أن المسلحين في بناية المهندسين اعترفت تمرد بأنه يتبع لها وطلق سراحه هل عرفت أين الإرهاب يا رجل.

Kareem

لم يتعلم العرب الحكمة أو لا يريدون ذلك وهي المكر والحيلة والتغلغل في صفوف الجيش ورءوس القوم.

عبدالله عطياف

ما شاء الله ، كلام في الصميم ومفصل تفصيلاً من خبير ومؤرخ مبدع أذهلنا بتحليلاته القوية. نعم هؤلاء هم مفكرو ومواطنو مصر الشرفاء الأحرار الذين لا يخافون في الحق لومة لائم.

جمال الدين

الانقلابيون مكونون من مجموعات انتهازية وانتفاعية متقاطعة المصالح ولا تربطها ببعض أية علاقات مبدئية وأخلاقية (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى). الزمرة الانقلابية ستأكل مع الزمن وستبقى روح مصر الحقيقية وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين لأن ما ينفع الناس يمكنه في الأرض. متفق تماما مع تحليل د. جوادى.

عبدالله المغارم

مقال رائع - بروعة الجوادى - في توصيف المشهد الانقلابي لكنه لم يتطرق إلى درجة كبيرة إلى محتوى ومضمون العنوان «ماذا بعد الانقلاب» ولم يضع التصورات المحتملة بعده. على كلٍ مقال جيد وتوصيف جميل.

محمد عصمت

خريجو الثانوية العامة من عساكر الجيش والشرطة يسجنون ويقتلون حاملي الشهادات العليا والدكتوراه وشيوخ الدين والعلماء. / حقددد.

محمد أبو الفرح

ياسادة الجيش لن يترك الفرصة لا للإخوان ولا لأي مخلوق على الساحة السياسية حتى لو أراق دماء الملايين لماذا؟ لأنه وضع الخطة منذ تنحي مبارك ولم يترك لحظة واحدة الحكم ياناس ياهو افهموا الواقع بدقة ولا تغلق بصيرتكم العداوة للتيار الإسلامي عامة والإخوان خاصة عما يخطط له العسكر أنا لايهمني الإخوان ولا غيره الذي يهمني قراءة الواقع بدقة فخطة العسكر نجحت والذي أنجحها نحن

الشعب المغيب سياسياً فلقد جاء العسكر بغطاءين: سياسي من خلال جبهة الإنقاذ، والثاني شعبي من خلال تمرد وبالتالي لن يفرط العسكر في الفرصة.

Allo

منصورون إن شاء الله (...).

أبو حسان

لا فض فوك د محمد نسال الله العلي القدير (...). أن ينصر مصر وينصر الخير في مصر (...). لقد اقتترف الانقلابيون من الفظائع والعجائب ما يعجز ويأسف له كل حر وشريف ولقد عادت دولة العسكر الذين حكموا مصر من الانقلاب المشؤوم في ٥٢ وهي جولات بين الأحرار وعبيد حب الزعامة الزائفة وعملاء نسقوا أعمالهم مع العدو الغاصب في فلسطين والعدو الداعم له أمريكا كانا إما أن في مصر شرفاء بما يكفي لعودة الشرعية.

هنو

معقوله إلى هذا الحد إنسانيتك ماشفت الألاف إلذين انقتلوا على يدالسيبي وبعدين الإخوان ضحوا بأبنائهم من أجل مصر أساء ضحية بنت إخواني ماراح مصر تعيش حرية وتطورالابحكم إسلامي ولومرسي ماعزلوه لكانت مصر صارت تركيا لكنهم لم يعطوه فرصة (...).

□

الفصل السادس

عداوة الانقلابيين للشفافية والصحافة

١

- ورث الانقلابيون العسكريون في العالم العربي خبرة ناصرية مهمة تدفعهم دفعا إلى عدم الوثوق بالصحافة على الإطلاق، وهم يبنون غياب هذه الثقة على أسباب واضحة:
- فالصحافة تفسر (حتي من دون قصد) كثيرا من خطوط العمل (السرية) التي تكون الدولة «الانقلابية» قد قطعت فيها طريقا مضمونا، وتأتي الصحافة وتجهض كل هذا الطريق الذي قد تفشل الدولة في استعادته بعد كشفه.
 - كذلك فإن الصحافة تظهر آراء وحلولا أخرى (أو معارضة) قد تكون أكثر إقناعا للجماهير.
 - و من ناحية ثالثة تسلط الصحافة الضوء على مناطق الانحراف القائمة على المحسوبة أو الاحتكارية، وهي جزء من مكونات الانقلاب في العادة.
 - وتنقل الصحافة للقارئ صورة عن الحياة الأخرى في بلاد أجنبية بحيث تكون النتيجة مع مرور الوقت حالة من تدمير المواطن من المستوى المتدني أو الأقل مما ينبغي أن تقدمه السلطة العسكرية أو الانقلابية.
 - بل إن الصحافة تكشف دون قصد مدى ضعف الأداء الشخصي والجماعي والفردى لسلطات الانقلاب.
 - وأخيرا فإن العائد المعنوي من تأييد الصحافة الرسمية (مهما كان) لا يتوازى مع الخسارة الناشئة من تحمل وجود الصحافة نفسها بوجودها الثقيل على النفس وأدائها المزعج للروح.

٢

في مقابل هذا كله فإنه في الانقلاب العسكري المصري الأخير (على سبيل المثال) يدافع الإعلاميون والصحفيون عن صورتهم فيقولون إنهم الشريك الأساسي في نجاح الانقلاب فكرة وتنفيذا بما صوروه من أوضاع تستدعي الانقلاب وبها دفعوا إليه من تمرد،

لكنهم في الواقع لا يكادون يتخيلون أن العسكريين لا يؤمنون أصلاً بوجود هذا الدور الذي أشارت به الدولة السرية أو البدرومية التي كانت تحركهم بالريموت كنترول.

ذلك أن العسكريين يجدون أن ما تحقق على الأرض لا يمت للصحافة أو للإعلام بصلة وإنما هو نتاج جهدهم هم، فهم الذين قبضوا على الأبرياء وأودعواهم السجن والمعتقلات، وهم الذين قتلوا المعتصمين مرة ومرات دون أن يشترك معهم إعلامي أو سياسي في التحرك أو القبض أو القتل.

هكذا يتراوح النظر إلى موقف الصحافة والإعلام .

○ موقف أساسي وشريك عند من يمتلكون الريموت كنترول.

○ موقف خبيث أو «ماكر» ومفضوح عند القوى الديمقراطية والإسلامية على حد سواء.

○ موقف شكلي ضرره أكثر من نفعه عند قادة الانقلابيين.

٣

ومع الخروج التدريجي والمتوقع للمدنيين والإنقاذيين والبرادعي وغيره من تحالف الانقلاب يثبت الانقلابيون الكبار لأنفسهم يوماً بعد يوم صدق مقولتهم التي ورثوها من أن الصحافة تضر بأكثر مما تنفع، وأنها سلاح ذو حد واحد مؤذ وليست ذات حدين، وأن هذا الحد لا يعمل لصالح السلطة إلا إذا سيطرت عليه تماماً.

وليس في الأمر سر بذاع إذا قلنا إن الرئيس عبد الناصر نفسه كان ينظر إلى الصحافة (حتى على مستوى رجالها المقربين منه) على أنها نوع من السكرتارية الخاصة جداً تعرض له ما يريد من أخبار لكنها تعرض له أيضاً المحلات التي يمكن للأبناء (!) أن يشتروا منها ما يريدون أن يجدوا فيها الخدمات التي تليق بهم.

وليس من باب السر أن أبناء الزعيم خاصة أقربائه يحدثونك عن أن الأستاذ فلان هو الذي عرفهم بصالون الحلاقة الفلاني وبالترزي (الخياط) الفلاني في القاهرة، وبمحل الملابس الفلاني في لندن، ويرجع هذا إلى عقيدة العسكريين (وهي صحيحة) في أن أكثر الناس معرفة بالحياة هم الصحفيون، ولهذا فإن وظيفتهم في رأي «الأسرات العسكرية الحاكمة» ترتبط بالسكرتارية الخاصة في المقام الأول. والأخير أيضاً.

٤

ربما إنني أطلت بعض الشيء في تشخيص حالة الرؤية المختلفة عما هو متوقع، ومع هذا فإني لا أحس أنني نجحت في التصوير الكامل لهذه الرؤية المتكررة عند العسكريين، وربما أن تصور موقف السلطة الانقلابية الحالية من الصحافة يتكفل بإتمام هذه الصورة النشاز.

□ فالسلطة الانقلابية الحالية سعيدة - أولاً - لاكل السعادة بما أنجزته مبكراً في التعامل الخشن مع الصحافة، وذلك من قبيل قتل صحفي تابع لها تجاوز في نقدها تجاوزاً تافهاً في الأيام الأولى للانقلاب دون أن يدري أنه تجاوز «الحدود المرسومة» بإذاعة ما أذاعه، وهي ترى أن هذا الدرس كان نقطة فاصلة في العلاقة بينها وبين الصحافة، فقد تم القتل في غمرة الأحداث ودون أن تكون له دية!! لكن القتل أدب وهذب الصحفيين الموالين تماماً.

□ والسلطة الحالية سعيدة - ثانياً - كل السعادة بأنها استطاعت من باب التجني والتحدي الظالم أن تقبض على بعض صحفيي شبكة الجزيرة وأن تودعهم المعتقل ثم أن تجعل الدنيا كلها تتحدث عن هذا الوضع فتأخذ هي بغير حق فرصة ذهبية للوجود، هي فرصة الذي يشتكي من الإرهاب دون مناسبة، وهي تصل في التجني والافتراء إلى حد تصوير الصحفيين جواسيس! دون أن يهتز لها جفن.

□ والسلطة الانقلابية الحالية لا تخفي سعادتها - ثالثاً - من أنها أغلقت قنوات تلفزيونية وصحفاً، وهو سجل لا يشرف أحداً، لكنها فخورة به إلى حد كبير في ظل الضوء الأخضر المعطى لها بتصفيّة ما يسمى بالوجود الإسلامي النشط.

٥

وعلي سعيد مواز فان سلطة الانقلاب تعطي مؤشرات واضحة عن موقفها من الشفافية:

□ فالسلطة الانقلابية الحالية لا تكلف نفسها أولاً بأي وعد تجاه حرية الصحافة في مستقبل قريب، وإنما تعد بمزيد من الضبط والربط والتحكم في مسارات الإعلام في اتجاه وطني!! أي في اتجاه شمولي عسكري انقلابي.

□ ومع أن خارطة الطريق؛ ثانياً؛ كانت قد وعدت بميثاق شرف إعلامي فإن الوعد

كان ذرا للرماد في العيون فحسب، كما أن الإيمان بمثل هذا الميثاق لا يخرج عن حدود إيمان العسكريين المظهري الذي (لا يجاوز طرف اللسان) بأهمية أو جدوى الرأي الآخر الذي هو في رأيهم الحقيقي خيانة تستوجب الإعدام لا الإعلام.

□ والسلطة الانقلابية الحالية من طريق ثالث لا تخفي سعادتها بأنها تمكنت من النجاح في حالات الاختراق لبعض المنابر الصحفية والإعلامية خارج مصر بحيث أمكن لها من باب شركات الدعاية والإعلام أن تحقق بعض خطوات الدعاية الفجة لأدائها المظهري أو أن تمنع تدفق معلومات مهمة عن مخالفتها وخطأ عرضها وسوء إدارتها لكثير من الملفات.

□ بل بلغ أمر استغلال النفوذ في هذه الجزئية أن السلطة الانقلابية تفاخر أمام مناصريها بسيطرتها على كثير من صناعات الصحافة العرب والأجانب خارج مصر وبسيطرتها على حركة دخولهم وخروجهم إلى مصر، وبخاصة إذا كانوا مصريي الأصل أو الزوجة أو على ارتباط بمصر في ماضيهم أو حاضرهم.

□ وعلي صعيد خامس فإن السلطة الانقلابية بدأت تزعم للمحيطين بها في القاهرة الآن أن درس الجزيرة الإنجليزية وصحفيها بدأ يؤتي ثماره، وأن كثيرا من الصحفيين العالميين سينقلون مكاتبهم من مصر، وأن كثيرين آخرين أيضا لن يأتوا مصر لأن مجيء الصحفي الأجنبي إلى القاهرة يمكن ببساطة أن ينتهي به إلى السجن سبع سنوات حتى لو أنه قبض عليه في أفخم فنادق القاهرة حيث يصعب التجسس.

□

تعقيبات

موزونة

«لا يخاف من الظل إلا الحرامي، والانقلابيون كالحرامي تخاف من الضوء الإعلامي».

أبو نزار

«هل الانقلابيون يستعملون الإعلام أم الإعلام يستعمل الانقلابيين؟ الصحفي اليوم هو بمثابة طالب علم لأن العلم حقيقة وهدف الصحفي إبراز الحقيقة للمشاهد. . كلما ضحى الصحفي وتعب اقترب من الحقيقة. . الحقيقة التي لا يعرفها المشاهد بأنها تأتي على سجن أو موت الصحفي».

Katy Yassine

«الصحافة قلم، والقلم فكر، والفكر العربي إذا قيده سلطة فهو مطية، وإذا كان حرا فلن يجد ورقا

يكتب عليه، اللهم إلا أن يكون مبتلى بعداوته للدين فسيكون اسما لامعا في الداخل والخارج! والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. تحية للدكتور محمد الجوادي (. . .)» .

الحسين ابن المغرب

«من خصائص الدول العميقة ذات الحكم الشمولي : السيطرة والهيمنة والاستحواذ على كل المنابر الإعلامية سعياً منها حجب الحقيقة وصنع إنجازات وهمية لتضخيم رصيدها في السلطة وخلق الافتراء والكذب على المعارضين كي ينالوا لعنات الصغير قبل الكبير، لكن وإن تأملنا في عصرنا هذا عهد الثورة المعلوماتية سنرى أن مرحلة التزييف والتضليل والكتم الإعلامي بدأت تندحر وتسقط خصوصاً في ظل وجود مواقع التواصل الاجتماعي فضلاً عن ظهور كاميرات رقمية حديثة تنقل الصورة قبل نهايتها» .

DJAMEL

«لست مع أي انقلابي خاصة من وضعوا يدهم في يد إسرائيل . لكن هل الصحافة كلها نزيهة. بصراحة لا أشعر أن الصحافة أقل انقلابية على شعوبها. في تسعينات القرن الماضي بعد فتح المجال الإعلامي في الجزائر سمعنا من الصحافة شتماً لمقومات الشعب . شتم للإسلام والدين ودفاع عن الأغاني الرذيلة بحجة حرية الصحافة. وعندها ضاق أغلب الجزائريين ذرعاً بصحافة منحازة لمجموعة قوية ذات نفوذ. الصحافة كأى شيء آخر يمكن أن لا تكون نزيهة بل ظالمة كظلم الحكام!» .

مصري : [تعليقا على التعليق السابق مباشرة]

«ما تتحدث عنه ليس صحافة بل هي مهنة لا ترقى حتى (. . .) وهؤلاء ليسوا صحفيين بل يؤجرون أقلامهم ويجدعون الناس مقابل راتب وعطايا فهؤلاء أيضا يمتهنون أقدم مهنة في التاريخ بل هم أقل وحقيقة إنه لأمر قاسي جدا على النفس أن تأتي على ذكر هؤلاء واستدعاء رائحهم (. . .) إلى الذكرة التي ستظل تعاني من أثر هذه الذكرى لأمد طويل . ساحك الله» .

مغربي علماني من إسبانيا

«وهل الإخوان يحترمون حرية الإعلام والصحافة؟ هل يذكر الكاتب تهديدات صفوت حجازي بإغلاق جميع القنوات المعارضة حتى وإن أدى ذلك إلى إزالة القمر نايل سات؟؟ . لو يملك الإخوان ١٠ في المئة فقط من القوة التي في يد النظام الجديد لكانت انتهاكاتهم ضد المعارضة العلمانية تفوق انتهاكات السيسي ضد الإسلام السياسي بملايين المرات» .

الملاح *** سوريا : [ردا على التعقيب السابق]

«هل فاتك أن سيادة الرئيس مرسي ألغى قانون الحبس في جرائم النشر يا مغربي علماني هل فاتك أنه لم يتم إغلاق أي برنامج في عهده أو اعتقال أي إعلامي معارض رغم كثرة ظهور عديمي الحياء وقليلي الأدب على النايل سات» .



الباب الثالث
النجاحات
الانقلابية الزائفة

الفصل السابع الفشل . الأكثر فائدة للانقلابيين

١

أبدأ المقال بواقعتين تبسطان جوهر القضية من وجهتي نظر الميكافيلية والبراجماتية معا.

يروى أن الرئيس عبد الناصر استقبل مجموعة من زملائه الضباط الأحرار الذين طلبوا لقاءه لأمر عاجل لا يحتمل التأجيل، ففوجئ بهم يبهونه إلى ما كانوا يظنون أنه لا يعرفه من كراهية جموع الضباط لشخص القائد العسكري القديم الذي اختاره عبد الناصر رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة بعد استقرار عبد الحكيم عامر في منصب القائد العام.

صمت عبد الناصر هنيهة ثم نظر إلى أصدقائه الأعزاء عليه واطمأن إلى أنهم جميعاً من المخلصين له الذين يستحقون أن يعرفوا السر، وقال لهم: ولماذا نختار لهذا المنصب رجلاً محبوباً؟ ماذا نستفيد من حب الضباط له؟ بالعكس إن الضباط الشديد المكره الذي لا يطاق هو الأكثر فائدة لنا!

٢

وبعد ثلاثين عاماً من هذه الواقعة شكا أحد الأصدقاء من كبار أساتذة الطب المصريين من أنه في شهر واحد اضطر إلى تكرار دفع مبلغ لا يستهان به ثلاث مرات ثمناً للنجمة التي تزين مقدمة واجهة سيارته المرسيدس والتي لا يكتمل جمالها إلا بها، وفي كل مرة يعبث أحد المارة بالنجمة فيكسرها فتصبح غير صالحة نهائياً.

وفي ذلك الوقت كانت النجمة المتاحة هي الأصلية فقط، فلم تكن الشركات قد أتاحت نسخها المقلدة التي لا يزيد ثمنها على ١٠٪ من نجمة مرسيدس المصنعة في مصانعها، وأردف صاحبنا على عادة الأساتذة فقال إن الـ«بي إم دبليو» - وكان لا يجها- تفوقت في هذه الناحية حين ثبتت نجمتها أو علامتها في الغطاء الأمامي فحمتها من

شقاوة أطفال القاهرة!

فما كان من أحد الأطباء الشبان إلا أن قال للأستاذ إن المرسيدس أذكى بكثير لأنها تستفيد من كل شقاوة فتبيع نجمة جديدة، بينما يغيب هذا البند تماما عن قائمة مكاسب الـ«بي إم دبليو».

مرت الأيام وازدهرت الصناعات المقلدة للإكسسوارات إلى الحد الذي يمكن معه أن نقول إن المرسيدس الجديدة أصبحت تأخذ كثيرا بمنطق النجمة الثابتة فلم يعد هناك هذا الحجم المربح من بيع إنتاج خط النجمة الأصلية.

٣

باختصار شديد، إن أداء الانقلاب العسكري في مصر لا يخرج عن هذين المفهومين، بل يكاد يعلن بكل وضوح أن النجاح السياسي مرفوض مرفوض، وأنه يستعيز عنه بحملات علاقات عامة أو حملات تسويق متجددة حتى وإن كانت متناقضة، وفي الوقت ذاته فإن الانقلاب حريص على أن يؤكد بكل الوسائل جوهر سياساته الاقتصادية والاجتماعية وهي تدور ثم تدور حول فكرة أن النجاح الاقتصادي مستحيل.

وقد تعددت الإشارات والأمارات الدالة على أن الانقلاب يعتنق سياسة الفشل الأكثر فائدة، وتعززت هذه الإشارات بتصريحات شهيرة تحطت حدود ما يمكن وصفه بأنه زلات لسان، فالنجاح السياسي الذي يتمثل في الخطو نحو الديمقراطية أو في طريقها لا يعدو في نظر قائد الانقلاب أن يكون سلوكا معطلا للإنتاج وليس في مصلحة البلد ولا مصلحته هو ولا مصلحة المواطنين.

٤

ومع أن القائد قدم نفسه للعالم وصورها في بداية الانقلاب على أنه جاء مدعوما بالتظاهرات التي وصلت إلى أرقام غير مسبوقه سينائيا فإن موقفه الآن أصبح منحصرًا ومحصورًا ومحاصرًا عن عمد بين أربعة جدران صلبة ومتصلبة وواضحة وضوح الشمس.

• أول هذه الحوائط وأخطرها: أنه عبر بأقصى شفافية - وأقصى رفاهية أيضا - عن أنه يؤمن بأنه غير مدين لأحد، فهو الحابس للرئيس المنتخب الذي وصل

للرئاسة بالديمقراطية، وهو المنقلب عليه لأنه هو القوي والمسيطر على جنوده وقادته وهو الفاض لا اعتصامات رابعة وغيرها، وهو «المتدستر» لما لا حاجة له إليه من دستور اصطناعي، وهو الممثل المتغير الملامح لكل الأدوار التي تتطلبها المسرحيات المضروبة أو المصكوكة، وهو يؤمن أيضا بأن كل ما عداه هو نفسه باطل، وهو يؤمن أيضا بأنه كان ولا يزال بمثابة عنصر النجاح الفعلي والوحيد لما حدث من سلب السلطة ووجود للانقلاب.

- وثاني هذه الحوائط هو أن سلطة حكم مصر حق موروث ومورث للعسكر لا لغيرهم، وكل الشكليات التالية للوصول إلى السلطة بقوة الديمقراطية متمثلة في الشعب لا ولن تغير من هذه الحقيقة الجوهرية شيئا، بالمقابل أيضا فإن كل الشكليات التالية للاستيلاء على السلطة بقوة السلاح لا تضيف إلى هذه الحقيقة الجوهرية شيئا، فالديمقراطية ليست إلا ديكورا شكليا ظاهريا لا قيمة له، لأنه ببساطة غير أساسي ولا تأثير له على الدبابة.
- وثالث هذه الحوائط أن المظاهرات أو التظاهرات كانت وسيلة لإخراج سلف قائد الانقلاب من السلطة، لكنه لن يسمح لها بأن تخرجه هو أيضا تحت أي ظرف من الظروف حتى لو اقتضى هذا قتل الآلاف أو سجن عشرات الآلاف أو نفي مئات الآلاف، وتكرار المواجهات العنيفة كل يوم وليلة.
- ورابع هذه الحوائط أنه لا يؤمن بتاتا بحرية التعبير ولن يسمح بها تحت أي ظرف من الظروف، لأنه في عقيدة نفسه أو بالأحرى في تصويره لنفسه يعرف ما لا يعرفه الناس عن أنفسهم وعن مصلحتهم وعن استحقاتهم، أو بالأحرى يعرف ما لا يعرفونه عن عدم استحقاتهم للديمقراطية.

٥

يرتبط بهذه المحاور محور مواز في معاملة الخارج يتمثل اختصارا في احتقار شديد وغير معلن للمجتمع الغربي يتوافق بل يتطابق مع ما هو معروف للعامة من عقيدة ثابتة عند كثير من الطبقة البعيدة عن الثقافة في المجتمعات الشعبية القاهرية، وهي عقيدة غريبة تذهب إلى القول إن المجتمعات الأوروبية لا تقوم أخلاقها إلا على الصور المتعددة

والمتنوعة من العهر السياسي والاقتصادي والأخلاقي.

ومن ثم فلا خوف من هذه المجتمعات الغربية ولا من مسؤوليها مهما عظموا على مثله من الحكام الأشداء المتمتعين بالسادية! ولم لا وهو الغني القادر على تقديم الرشوة مما يتمول به يوما بعد يوم دون حاجة إلى مديده إلى أي رصيد تكون مما استغل وضعه في الوصول إليه وتملك التصرف فيه.

هكذا ينظر قائد الانقلاب إلى قدرته على استدراج المجتمع الغربي إلى تأييده والاعتراف به وبهيمته في القضاء على الإسلام السياسي، وكأن الإسلام السياسي وباء يمكن أن ينحسر بالسلاح.

ومن العجيب أن وباء شهيرا كالكوليرا أثبت على مدار دروات انتشاره أن كل اللوجستيات من نقل وعزل لم تقدر على حصاره إلى أن عاجله التقدم الطبي الحقيقي.

لكن الانقلابي يرى نفسه وفعله استثناء من حركة التاريخ.

٦

وهكذا فإن الانقلاب لا يبحث عن نجاح سياسي حقيقي على أي مستوى لا في الداخل ولا في الخارج، وإنما أقصى ما يمكن أن يسمح به هو أن يلتقط مصورو وكالات أنباء -يصنفهم نظامه بأنهم مختارون ومرحب بهم ومكافؤون مقدما- صوراً لطابور انتخاب وهمي، وأن يحضر انقلابي ما -مهما كان- مؤتمرا في الغرب يتحدث فيه عن نجاح التحول الديمقراطي.

وربما يقودنا هذا إلى المحور المتعلق بعدم الرغبة في تحقيق أي نجاح اقتصادي أو إنفاذ أي إصلاح اقتصادي أو تشجيع أي حل اقتصادي، وفي هذه الجزئية تبدو تصريحات قائد الانقلاب أقرب ما تكون إلى الأقوال المرسله التي يحترفها آكلو أموال اليتامى من الذين لا يجدون غضاضة في الظهور وهم يلبسون الحرير من أموال اليتامى مقابل السماح بأن يلبس اليتامى الذين هم أصحاب المال الحقيقيون الخيش الممزق.

ومع هذا فإنهم لا يستحون وهم يواجهون العالم بهذه الصيغة الفجة من أكل أموال اليتامى بالباطل حتى أصبحت صورة الشعب المصري في ذهنيات العالم أنه شعب يؤكل

كل ساعة على موائد الانقلاب، ولم يصل بعد إلى أن يتغذى أضعف تغذية أو يتمون بأفقر تموين مما قد يتاح للأيتام على مائدة اللئام.

٧

وليس أدل على صحة هذا التحليل الذي أطرحه مما اتخذته الحكومة الانقلابية من شراء غاز طبيعي من روسيا لتوفيره للقوى الرأسمالية المتحالفة مع الانقلاب بثالث ثمنه على أن يدفع الشعب اليتيم من موازنة الدعم هذا الفارق الضخم، وذلك في الوقت الذي لا تبذل فيه حكومات الانقلاب أي جهد في توفير الطاقة الكهربائية التي تتوقف عليها حياة جميع الشعب.

ويتواكب هذا مع أحاديث مكرورة وممقوتة عن وسائل وهمية في القضاء على البطالة بعربات الخضار، وهي وسائل ناطقة بتخلف الفكر الانقلابي عن إدراك طبائع الحياة المعاصرة والمستقبلية.

ومن الملحوظ أن هذا الحديث القاصر عن توفير ألف فرصة عمل ليس مقصودا لذاته، وإنما لوضع الشعب اليتيم أمام الأمر الواقع باستمرار الفقر، لأن الفقر المتتابع يظل في عقيدة منظري السلطة ومخططي الانقلاب بمثابة الضمان الأكثر ثقة لمنع الثورة ثلاثين عاما قادمة، وهم يستهدون في هذا بتجربة الزعيم جمال الذي بكى بعض الكتاب الانقلابيين عند وفاته باعتباره من كان يطعمنا ويسقينا.

تعقيبات

متابع

«لو هناك فقط ١٠ اشخاص بفكرك يا أستاذي محمد الجوادي لكانت الأمور دائمة الوضوح للقاصي والداني كلامك عالوتر فنحن نعلم أن الانقلابيين أتوا من زقاق القاهرة ومن على كراسي المقاهي الشعبية التي لا يزورها إلا الجاهلون أو بالأحرى الأميون».

سالم

«مقال رائع لكن حفنة الانقلابيين ومن يوالونهم يرون غير ذلك. إذ لو قال الانقلابيون لا توجد شمس بالسما ساطعة لقالوا نعم».

سفير الكلمة

«دائماً نتحفظ يا أستاذ محمد بحكمك. نحن كعرب لا نزال نثق أن الشعب المصري هو قائد الأمة العربية. ولكن للأسف سوف تبقى هذه القيادة بدون تنفيذ حتى تنجلي الغمة الانقلابية عن هذا الشعب الأبي. في كل أمة خبث، وخبث مصر هم انقلابيوها الحاليون وإعلامهم المسير وما تلقوه من دعم من أموال اليتامى الأجانب بغير حق».

إبراهيم شاهين

«هنالك أمور بخصوص الانقلاب الظن أنها حقائق عدم مراعتها يسبب أشكال:

١- الانقلاب جزء من منظومة عالمية وإقليمية تهدف تكريس استعباد واستحمار العرب والمسلمين.

٢- ما يقوم به قائد الانقلاب سيقوم به أي شخص لو كان مكانه.

٣- الفاعل الحقيقي والأول هو المستفيد مما يحصل في العالم العربي وهو اليهود أصحاب النفوذ السطوة والخطوة في العالم العربي المستباح وأن من يقرر في مصر هو من يقرر في باقي الأمصار.

٤- ما ينطبق على مصر ينطبق على باقي الأطراف.

٥- الأصل هي في فلسطين ومن يحتل فلسطين فإذا حلت مشكلتها حلت باقي الأمور».

رؤية

«متى تعود لنا مصر حاضنة الأمة العربية والإسلامية؟؟ فالنيل يستنجد، والأهرام تستنكر والشعب المصري الحر يقاوم».

ناصر

«إن إفساد الناس ودب الرعب في قلوبهم هي الطريقة التي يتبعها الانقلاب لقلب الحقائق وتثبيت الكذب وإحلال الدكتاتورية مكان الديمقراطية. وإحدى الطرق هي دفع الأموال الهائلة لشركات العلاقات العامة التي يمتلكها القتلة لتثبيت كذبه وقتل الناس من أموال الفقراء والأيتام. وهذه الأموال موجودة بوفرة لقتل الناس وغير متوفرة لمساعدتهم. وهم يعولون على أن إسرائيل في جانبهم حتى لا يحصل ما حصل لناصر. ما لا يدركونه هو أنهم في حرب مع شعبهم ودينه وسوف يدوقون هزيمة أمر مما حصل لناصر».

مصري

«الفشل المتعمد سياسة الفاشلين الذين لا يملكون حلولاً ولا عقولاً ولا حتى ضمائر لأنهم

يعتمدون فقط في بقائهم على القهر والفساد وقتل أي إبداع أو طموح وإرضاء الأقوى منه والأغنى منه مساوما على ممتلكات شعب استعبده واستعبطه ورضوا هم بذلك ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤]. الجديد هنا هو أن هذه الوصفة ليست لهذا الزمان وليست لهؤلاء الشباب حتى وإن قتل وسجن ونفى أضعاف الأرقام التي ذكرتها. أبشره ومن معه بما يسوؤهم بإذن الله من هذا الشباب الذي يسطر في صمت أعلى معاني الجهاد والتضحية ويواجهون جيش وشرطة الغباء والفشل والخيانة».



الفصل الثامن

متى يتوقف نزيف الدم في مصر؟

١

بعيدا عما يعتقد كاتبة هذه السطور فإن الخبرة التاريخية والمنطقية يمكن أن تجيب بأن نزيف الدم في مصر يمكن أن يتوقف إذا أراد الحاكم المتغلب، شرعيا كان أم غير شرعي. وتقتضي هذه الإرادة أن يتنازل من يظن نفسه أو من اقتنع بأنه هو المتغلب عن كثير من دعاواه وحقه ومكتسباته التي حققها بالسلاح، وأن يتراجع خطوتين وثلاثا وأربعا وليس خطوة واحدة.

هذا هو ما تعلمناه من التاريخ، بل إن المثل الأنجح في الزعامة العربية القائمة على التغلب في النصف الأول من القرن العشرين كان حريصا بحكمته على أن يصاهر محاربيه السابقين وأعدائه الذين انتهت عداوتهم للتو واللحظة، ولولا هذا ما استقرت هذه الدولة الكبيرة.

٢

نقفز من هذه البديهية إلى الواقع المصري المؤسف فنواجه بمجموعة من الحماقات التي يتصور أصحابها أنها أمور جوهرية، وعلى سبيل المثال لا الحصر فإننا نجد هذه المفارقات:

□ أولا: عبر قادة الانقلاب (حتي منذ الساعات التي سبقت إعلانه) عن أنهم لا يقبلون أبدا الجلوس مع الحزب الحاكم صاحب الأغلبية! ولماذا يجلسون إليه وهم قد قرروا إزاحته نهائيا من الحكم ومن الحياة السياسية بل من الحياة نفسها.

□ ثانيا: أقنع هؤلاء القادة أنفسهم بأن الانقلاب يتمثل أساسا في إزاحة الرئيس المنتخب شرعيا، وما عدا ذلك فهو رتوش لا قيمة لها بعد إخراج الرجل من قصر الرئاسة.

□ ثالثا: عندما اندلعت ثورة الشعب ضد الانقلاب عبر هؤلاء القادة عن عقيدتهم الثابتة

في أن جلوسهم مع قادة الإخوان أو حزب الحرية والعدالة سوف يمثل دلالة قاطعة علي فشل الانقلاب وعلى أنهم هزموا، وهم لا يقبلون أن تنطبع هذه الصورة عنهم بأي طريقة.

٣

وننتقل إلى محور مواز مما سجله الإعلام من التعبيرات الصريحة الكاشفة عن عقائد شبه فاسدة:

- فقد عبر قائد الانقلاب نفسه أولاً عن اعتقاده اليقيني بأن ما قام به من تصرف هو استرداد لما كان وظل في «حوزة الجيش» منذ ستين عاماً ثم انتزع انتزاعاً، والمعنى واضح وضوح الشمس مهما اجتهد المخادعون لأنفسهم في صك تعبيرات من قبيل: الدور الوطني للجيش، والأمن القومي لمصر، ومركزية الدولة، وخصوصية الحالة المصرية، وإستراتيجية الموقع الجيو بوليتكي، وحتمية اللجوء إلى الاستثناء.. وهي تعبيرات لوحتها شمس الحقيقة وأهبتها مع كثرة الاستهلاك.
- سرعان ما حدثت (ثانياً) المفاجأة المروعة التي أظهرت للجيش رفض جموع كبيرة من الشعب للانقلاب، وتعبيرهم عن هذا الرفض بقوة وشجاعة وإيجابية وتضحية ثم صمود الشعب في مواجهة القوة.
- ومع قوة هذه الرسالة التي لم تكن في الحسبان فإن قائد الانقلاب وجد نفسه (ثالثاً) مدفوعاً من شركائه الغربيين إلى استخدام القوة الرادعة في حدود، لكنه لأسباب كثيرة أفرط في هذا الاستخدام مكاناً وزماناً وكماً وكيفاً وتكراراً ثم أفرط فيها فشلاً كذلك.
- وعلي صعيد رابع فسرعان ما تحولت القضية في ذهنية قائد الانقلاب إلى خصومة تأرية بحيث أصبح من الصعب على تصوره أن يفكر في التراجع عن العنف مهما بلغ ما يحصل عليه من ضمانات محلية أو دولية.

٤

ونأتي أخيراً إلى ما تطلق عليه علوم السياسة تصرفات رد الفعل الطبيعية أو المتوقعة

أو «الخبث» أي التي يثك الخضم بظلمه واستفزازه علي المضي فيه .

□ ففي مستوي أول بالموازاة مع كل هذه الاندفاعات لم يعد من فرصة ولا مجال أمام الأعلام والأبواق المساندة للانقلاب والناطقة باسمه إلا أن تمضي في التحميس والتهييج والإثارة علي نحو لا رجعة فيه، وذلك على الرغم من يقينها بأن ما تقوله مخالف للحقيقة، لكن هذه الأعلام والأبواق اضطرت إلى إقناع نفسها بالمرهنة لكسب الوقت بدلا من مواجهة مصير مؤلم ربما يصل إلى الإعدام.

□ و في مستوي ثان ومع تطور الأمور في اتجاه الإطار الهلامي الذي وضعه الانقلاب لمشروعيته ولمشروعه أمام العالم (الغربي) في محاربة الإسلام أو الإخوان أو الإرهاب، فقد أصبح توقف الدماء دليلا على أن الانقلاب قد فقد مبرر وجوده واستحقاقه للدعم اللوجيستي والمعنوي والمادي وأنه لم يسفر عن مكسب منظور. ولهذا السبب وحده فإن الانقلاب في كل الأحوال لن يكف عن إراقة الدماء ليبرر وجوده أو استحقاقه للوجود حتى لو لم يخرج المعارضون له إلى الشارع أو المؤسسات الدولية.

□ وفي مستوي ثالث فإن المتوقع انه إذا مضت الأمور في هذا الاتجاه الذي هي ماضية فيه بالفعل فإن الدماء ستزداد في كل محور لأنها سوف تمثل ما يمكن تسميته بإنجاز المقاول الذي يحصل على أجره من خلال إراقتها، وستتحور في اتجاه حرب محتملة على المسيحيين المصريين (أو الأحباش) الذين ساندوا الانقلاب وذلك في محاولة ممجوجة لإرباك المشهد واستعادة ثقة المسلمين.

□ ومن العجيب أن التقارير السرية للمخابرات الغربية قالت صراحة إن حظ مرسي من التسامح الديني يفوق حظ السيسي بمراحل وإن السيسي نفسه يتمتع بمخزون هائل من التعصب الديني الذي لا يعاني منه مرسي بأي قدر، وقد جاءت سيرة حياة الرجلين لتثبت صواب هذه الملحوظة المهمة التي يجيد الغربيون الوصول إليها حتى وإن تعاملوا عنها أو أخفوها .

□ وفي مستوي رابع فانه مع مضي الوقت في الأسابيع الماضية وعودة المطالب الفئوية والإقليمية والنقابية إلى التصاعد والتطور والتحور فإن رغبة الانقلاب في

إظهار استقرار الأمور ستدفع به إلى السبيل الوحيد الذي يجيده وهو سبيل الحلول الأمنية ذات التكلفة الباهظة في الأرواح.
 □ ومن ثم تبدأ في هذا المخطط المتصور حلقة مفرغة بحيث لا يتوقف نزيف الدم، وكلما سأل سائل غربي قيل له: إنهم الإسلاميون!!
 لكن حنكة «الإخوان المسلمين» أضاعت ولا تزال تضيع هذا المخطط .

تعقيبات

بارك الله

«لو كان هناك قضاء ومؤسسة تنفيذية للقانون على كل المصريين بلا تمييز لحوكم السيسي على عدة جرائم سفك الدماء ووو ويوثائق منظمات حقوقية دولية مستقلة، ولكن بما بمصر ليس هناك النائب العام بل الخائب العام، الذي هو دمية السيسي فلاغرابة أن نجد رئيسًا شرعيًا لم يرتكب جرماً يحاكم، واختطف وأبعد عن أهله وأحبائه، ولو كان سائح اختطف في مصر، لقام مجلس الأمن لحقوق الإنسان في أوروبا و و ينددون بإطلاق سراحه بلا معرفة لما اختطف وربما عُين له محامون دوليون بمراقبة أممية!».

عائشة لبوكيلي فيينا

«مصر بعد يوم النكبة ٣٠/٠٦/٢٠١٣ يوم انقلب قادة من العسكر بزعامة السيسي وبأموال من دول عدوة مصر ودعم كذابين في الديمقراطية والحرية من ساسة وحركات خانت مكتسبات ثورة يناير مقابل وعود بمناصب بعضهم فهم المؤامرة وأنهم كانوا مطية لعودة حُكم العسكر، حكم مبارك بوجه جديد، جبهة العار وحزب الظلام شيخ الأزهر وبابا الكنيسة أستعملوا سُلم للصعود للحكم، لم يخالفوا عصاة الانقلاب في سفك دماء معتصمي رابعة، البرادعي لم يوافق فاستقال ولُفقت له تهمة الخيانة!».

فارس الريف

«ساسة أوروبا ينظرون لمصالحهم ع المدى المتوسط والبعيد، فهم حسب ما صرحت به كاثرين أشتون وإزابيل دورون نائبة رئيس البرلمان الأوروبي والتي كانت من بين أعضاء البعثة حذرين، إذ اعتبر الخبر في الشؤون العربية بودوان لوز أن أجوبة المسئولون الأوروبيين غير مقنعة بتاتا!، فمن وجهة نظري الساسة الأوروبيين يأخذون احتجاجات شعوبهم ع محمل الجد، لا يثقون في بقاء نظام السيسي».

« لو كان هناك أمل للسيسي (لحكم مصر أكثر مما حكم) ليس للفوز (نتائج الانتخابات مسبقا لصالح السيسي بالتزوير والدعاية)ولبقاء نظامه لكانت لهم مواقف أخرى، حذرين من التورط (الشعب المصري هو الرهان الراجح) أما السيسي فالرهان عليه مجهول! ومقامرة، أوروبا تؤدي الآن ثمن مواقف ساستها حاولوا تهميش طوائف وقمع شعوبهم كما يفعل السيسي الآن، ادت لنتائج لم تكن متوقعة! نظام

السيسي في الانعاش المركز بدون دعاية ميت».

«نظام في الإنعاش المركز بدون دعاية ميت، والحالة المصرية تختلف كثيرا عن سوريا، الشعب المصري صامد بالمظاهرات السلمية ضد عصابة! وما يقع من انتهاكات ودجل معروف في مراكز الدراسات الغربية، الشعب المصري هو الرهان الأهم عند الأوروبيين أبقى من السيبي (الفئة التي تدعمه ٨ إلى ١٣٪) فالأخطاء التي يرتكبها منذ مجزرة رابعة إلى الآن جعلت الأوروبيين حذرين من التورط في وحل السيبي! وقلقين من عواقب المشاركة في المراقبة!».

فارس الصحراء

«وتسلطت عصابة لتجريم حرية تظاهر (وهي بالتظاهر خدعت الحشود وانقضت على السلطات) وانكشفت حقيقة الكذابين الخونة الذين دعموا تعطيل دستور ٦٨٪، وبعدها استعمل الدين لتسفك دماء الأبرياء، البرادعي ولو كان مع جبهة العار وحزب الظلامي التلغي ولكن احتجاجه لفك اعتصام رابعة بالقتل أحيه في هذا الموقف وبالاستقالة من عصابة السيبي الذي لفق له التهمة، لن ينعم السيبي بحكم أرض الكنانة بإذن الله إنه من الأخسرين».

أفضل أبيات شعر:

«من أفضل أبيات شعر الإمام الشافعي :

رقصت على جثث الأسود كلاب	لا تأسفن على غدر الزمان لطالما
تبقى الأسود أسود والكلاب كلاب	لا تحسبن برقصها تعلو على أسيادها
ولحم الضأن تأكله الكلاب	تموت الأسود في الغابات جوعًا
وذو علم مفارشه التراب	وذو جهل قد ينام على حريير
وطب نفسا إذا حكم القضاء	دع الأيام تفعل ما تشاء
فما لحوادث الدنيا بقاء	ولا تجزع لحادثة الليالي
وشيمتك السساحة والوفاء	وكن رجلا على الأهوال جلدا

ابن الخطيب اسبانيا

«قوائم البقاء لنظام السيبي سقطت كلها بقيت سوى الدعاية والكذب والاعتقالات التي لم تجدي وُترُك شعبا يتظاهر سلميا ويقول ويعبر أنه لا يريد السيبي ونظامه ولو فُتحت الميادين وُسمح لصحفي العالم تغطية المظاهرات، السيبي له اقل من ١٠٪ من الميادين فقط (عدد المشاركين في استفتاء دستور

العسكر وعمرو موسى!).

«نهاية حكم السيسي والاستبداد على يد شباب ثورة يناير ومظاهرات الشرفاء من الشعب المصري التي مازالت صادمة رغم القمع والاعتقالات وبعون الله ستكون أرض الكنانة في بداية القرن الهجري الخامس عشر إن شاء الله القرن الذي سيغاث فيه الناس بعد السبع القرون العجاف منذ سقوط الأندلس بمؤامرة بابا الفتكان لإبادة المسلمين وأتباع موسى من أوروبا بجيوش من أغلب دول أوروبا، قوائم البقاء لنظام السيسي سقطت كلها».

مُعلم فهيم لوس انجليس

«هناك من يريد أن يدخل من ثقب مفضوح بقوله نهاية الإخوان، الإخوان فقط فزاعة، المؤامرة مكشوفة ضد الثورة ٢٥ يناير التي اسقطت الطاغوت مبارك الذي مازال يسكن فندق ٥ نجوم، وبراءة من بعد هذا هو ما يريد فعله السيسي نفس النظام في حلة جديدة والداخل: الاستبداد وحكم قادة العسكر الذين يسيطرون على أكثر من ٥٠٪ من ثروات مصر».

IMRAN

«مش معقول ومش مقبول أنك تشوف سيدة أو طالبة تهان وتعتقل على أيدي أفراد أقل ما يقال عنهم أنهم أندال لا شرف لهم ولا مبدأ ولا رجولة. لكن ده مبدأهم الذي حفظوه. الخيانة، ماذا تنتظر من هؤلاء القتلة، معدومي الإنسانية. السيسي رجل ظالم وتواضروس وبرهامي وأشكالهم، كلهم مية واحدة وعجينة في يد السيسي يعمل فيها كما يريد، وكله بالأمر المباشر. ومن يأبى ويعارض سياستهم النجسة، يضعوه تحت مسمى إرهابي والوسيلة موجودة ٢٤ ساعة، إعلام معندوش ضمير ولا مصداقية».

«أنا كرهت السياسة ولا أحب أن أتكلم فيها لكن عندما ألقى حد غير فاهم ماذا يدور في مجتمعنا، أحس بضيق شديد، وأحاول أن أرى اشوف أي وسيلة لتوصيل معلومة لهذا الشخص حتى يصل إلى الطريق الصواب الصحيح عندما السكوت عن الحق هو جريمة سيحاسب عليها كل مطلع على ظلم ولم يعبر ولو حتى بقلبه».

«أنا أحب أتابع قناة الجزيرة .. هي الوسيلة الإعلامية المحترمة والتي أثق بها، وبعد فالذين يؤيدون الفريق السيسي وسينزلون الانتخابات عشان ليؤيدوا المجرم ماذا قدم لتتخوه، هذا رجل قتل المصريين، وليس لديه رحمة أو إنسانية هل توافق على ذلك؟، وهل يرضى أي دين بذلك؟، تقتل وتحرق وتعذب إنسان كل ذنبه أنه يطالب بحقه وذنبه دافع عن حرته وكرامته وإنسانيته؟؟ سواء هو على صواب أو على خطأ فغير معقول تقابله بالرصاص لكن هذا مبدأهم ونظريتهم الديكتاتورية».

«في نهاية حديثي أحب أقول أن البصيرة لأصحابها، غير محتاجة واحد مثقف ليميز ما بين الطيب

والخيث (الحق والباطل) الرجاء فإله أكبر، أن يهدي أصحاب القلوب المتحجرة (الرخيصة). لك حق تناقشني وتتقدي في إطار الذوق، أنا أحترم كل رأي ولا أحب الإساءة لأحد حتى لو مخالف لرأيي. على مسئوليتي محمود طالب بكلية إعلام.

ابن الشارخ

«نعم يا سيدي يتوقف الدم عندما تتوحد الصفوف وتتوحد الكلمة وتتوحد الأهداف فالقاتل واحد والجزار واحد والدكتاتور واحد فلنر الملايين من المظلومين على قلب رجل واحد يسعون لهدف واحد في ساحة واحدة وهم يعاهدون الواحد الأحد الفرد الصمد أنهم لن يرجعوا لبيوتهم حتى يزيحوا هذا الطاغية ويكتبوا شيطانة ويقوضوا أركانه وحينها فقط يوقف نرف الدم وينزاح المهم ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ [الروم: ٤، ٥].

عبد الهادي

«الدكتور محمد الجوادي شمعة منيرة في ظلمات مصر من خلال مقالاته القيمة نجد رجلاً لا يخاف في قول الحق لومة لائم، ياريت بعض الكتاب الذين بكترون من مقالات حبر على ورق في هذا الموقع أن يتعلموا منه قليلاً من الجرأة فالقلم الجبان دال على جبن صاحبه!!!»

مصري

«أرجو ألا يتناول أحد على الشعب المصري قاصداً مؤيدي الانقلاب فيعمم الألفاظ فيصيب الناس بالأذى عن غير قصد. مصر دولة قبل أن تكون هناك أي دولة. مصر ليست موقع فقط ولكنها في الأصل شعب عظيم في مجمله وأغلبه فلا يجوز وسم الأغلبية وسبها بسبب تصرفات الأقلية. ولو تفكرت قليلاً ستجد أن الشعوب التي تصمد بقوة وسلمية في وجه الاستخدام الوحشي للجيش والشرطة والقضاء والإعلام هي شعوب لا تكاد تعد على أصابع اليد الواحدة وشعب مصر أولها. مصر تمرض ولكنها لا تموت وستعافي بإذن الله وتعود أقوى وأفضل وقد وعى شعبها الدرس جيد».

حارث

«بوركت أستاذي على هذا التحليل الرائع».

ابن سعيد

«بارك الله فيك ونفع بك وبعلمك يادكتور محمد. أرجو أن يتكرم الدكتور أو أحد القراء مشكوراً بتوضيح الفقرة التي تتحدث عن التعصب الديني لليسي».

عبده

«تحليل سياسى دقيق يصور الواقع الأليم في مصر منذ نجاح البكباشى جمال عبدالناصر في القيام

بالانقلاب العسكرى عام ١٩٥٢ وأقصى رئسه اللواء محمد نجيب».

جلجامش

«يتوقف نزيف الدم في مصر عندما يكف أبناء أكبر دولة عربية عن طلب الخبز من جلاديهم بل ويقطعوا يد الجلاد. عندما يكف أبناء مصر عن (خلونا نربي العيال) ويكفوا عن القبول بحياة الذل. قال الشاعر العظيم الجواهري غاضبا: «لازلت يامصر والذل تعويد يسومك الخسف كافور وإخشيد» .

وطلب منه أحمد شوقي ألا يكمل القصيدة فتكون سبة أبد الدهر أفلا تفيقون» .



الفصل التاسع الاستثمار في الإرهاب

١

بعد مضي ١٩ شهرا على وقوع الانقلاب العسكري، لا تزال الجماهير المعارضة للانقلاب تمارس احتجاجاتها الصريحة في الشارع السياسي على خلاف ما توقع صناع الانقلاب، وما تنبأ به داعموهم ومستشاروهم.

وقد كان التصور المرجح في أكثر من مركز من مراكز القرار في الولايات المتحدة الأميركية أن يتم احتواء معارضي الانقلاب وترضيتهم وضمان عدم ثورتهم بسرعة، حتى إن القائمين على الانقلاب أنفسهم لم يشغلوا أنفسهم بأن يضعوا خطة حقيقية لاحتواء القوى المعارضة لهم، وحوارها، واحترامها، وإعطائها أي مساحة في الشارع السياسي، مكتفين بترديد بعض الساسة المخضرمين من أنصار الانقلاب لأكاذيب من قبيل أن أنصار الشرعية هم الذين بدأوا العنف، أو من قبيل أنهم هم الذين قتلوا أنفسهم لإثبات المظلومية.

وفي الحقيقة، إن قادة الانقلاب من العسكريين -الذين كانوا ولا يزالون حريصين على ألا يظهروا للمراقبين إلا وهم يتحركون من وراء سُتر كثيفة- لم يبدووا بأي صورة جادة أي استعداد لمناقشة هذه الفكرة أساسا، ومن ثم فإنهم لم يمانعوا في إعلان سريعية لنية العداة لحزب الأغلبية دون أي مبرر مقبول.

٢

وفي هذا الإطار الغريب والشاذ في أفقه السياسي، فقد أشار عليهم مستشارو السوء -ممن كانوا يبحثون عن أي موضع في الصورة المتقدمة- أن يلجأوا وبسرعة ودون تمهيد - ولو كان صناعيا- إلى استثمار مكثف في ميدان الكلمة السحرية التي تضمن سرعة توريط الغرب في تأييدهم، وهو ميدان محاربة الإسلام الصاعد سياسيا من خلال تطويع الدعوى التي ترفع شعارا مرواغا هو محاربة الإرهاب، وذلك على الرغم من أن الانقلابيين كانوا

على يقين تام من أن الدعوى كاذبة، وعلى الرغم من أن الغربيين كانوا يعرفون ذلك. بيد أن الأمور مضت وكأنها تتبلور على المسرح المصنوع بفضل تدفقات سريعة ومتلاحقة من التمويل الخليجي السخي والعلاقات العامة النشطة إلى آفاق غير مسبوقه على الإطلاق في الصراعات الدولية والمحلية، وهو ما عبرت عنه تورطات متكررة لشخصيات تحتل مناصب ذات مكانة مرموقة من طبقة مسئولة الاتحاد الأوروبي الشهيرة. وهي تورطات قادت إلى سلوكيات انتهازية فاقت التوقع، حتى وصل الأمر في وجدان بعض المصريين والصحفيين الأجانب ممن شهدوا اعتصام رابعة -من واقع ما رأوه بأعينهم- إلى الاقتناع التام بأن زيارات بعض الوفود الغربية المتكررة والمكثفة والمطولة لموقع الاعتصام السلمي لم تستهدف إلا الاطمئنان التام على خلو خيام الاعتصام وميدانه من أية أسلحة أو أدوات يمكن استخدامها في أية مقاومة مشروعة -مهما كانت محدودة- لإجراءات الفض الإجرامي والوحشي للاعتصام.

٣

ولهذا السبب الواضح مناخا وأثرا فقد بات المصريون جميعا - بمن فيهم معظم الانقلابيين- يعتقدون في أنه -أي الفض- قد حدث بتواطؤ وتشجيع غربي أصبح الآن مفهوم الدوافع والطابع، وإن كان قد بدأ يترجح حين تغاضى الغرب -وحتى الآن- عن إبداء أي قدر من الحد الأدنى من المشاعر الإنسانية تجاه تلك الجريمة التي لا تدنو منها جريمة أخرى في استحقاقها وصف «جريمة العصر».

ومع هذا، فإن الأثر القمعي -أو الردعي- المتوقع لهذه الجريمة المؤثرة لم يتحقق ولو بنسبة معقولة، ولا تزال المعارضة الحية والحيوية للانقلاب تتجلى في صور إنسانية نبيلة تعلي من قيمة المبدأ، وفي صور سياسية ذكية تعلي من قيمة الانتماء.

وفي مقابل هذا اليقين المبدئي والعقيدي، فقد حصر الانقلاب نفسه في مربع الحديث المختلق والمضطر عن الإرهاب ومحاربه، وقد اضطرت الظروف في بعض المراحل الفاصلة إلى أن يصنع الإرهاب ليزعم أنه يحاربه، وإلى أن يفجر القنابل ليشير إلى أنه مستهدف بها، وهكذا تحول الأداء الانقلابي من فعل سياسي -ربما يفتقد المشروعية، وربما

يعمل على اكتسابها- إلى فعل صناعي يستند في وجوده واستمراره إلى فكرة وصناعة الاستثمار في الإرهاب ومن ثم الاستمرار فيه.

٤

وفي مقابل هذا الموقف الواضح، كان رد الفعل أكثر وضوحاً وذكاءً ومنطقيةً لأنه اعتمد فكرة الصمود، ولجأ إليها بدلاً من فكرة رد الفعل، والتزم بالصمود بديلاً عن الفعل المضاد للإرهاب أو الفعل الإرهابي المضاد.

وهنا أذكر أنه عقب وقوع الانقلاب مباشرة واندلاع بدايات الاحتجاجات الجماهيرية، بدأ بوضوح للمنصفين من رجال الإعلام الغربي ذوي القدرة على الإنصاف أن هناك معركة ستبدأ بين الانقلابيين وجماهير الشعب.

ولم يكن من الصعب على هؤلاء الإعلاميين بحكم خبرتهم في الحركات الشعبية أن يدركوا أن الجماهير الغفيرة التي خرجت لتوها ضد الانقلاب تعبر عن مبررات أخرى رافضة للانقلاب وحكم العسكر والبعث عن الشرعية وإسقاط رئيس منتخب والدخول مرة ثانية في نفق الشمولية.

٥

وقد صارحني معظم هؤلاء بإشفاقهم على الجماهير من المواجهة الشرسة التي فرضت عليهم من ثلاثية: التواطؤ الأميركي شبه المعلن، والتأييد الإقليمي أو الخليجي الممول الذي سارع إلى إعلان نواياه، والآلة الحربية المصرية.

وقد كانت هذه الثلاثية تمثل عناصر قوة لا يستهان بها في مثل هذه الأوضاع القائمة أساساً على موروثات مستحدثة على القيم الإنسانية، وهي مستحدثات تبدو فاعلة لكنها عقيمة، وقد تمثلت -على سبيل المثال- في فكرة وضع اليد، وتطبيع المشهد، وتقوية المنكر، وتصفية الحق، وهي أفكار مشوهة لكنها صادفت نجاحاً على مدى أكثر من ستين عاماً وحتى الآن، فلم تكن القوة تزاح إلا بالقوة.

ومن العجيب أنني لحصت الموقف في مفارقة تقول إن المسرح السياسي قد كشف عن أن هناك صراعاً كان مكبوتاً قد تفجر في الوقت الذي كان العسكريون يظنون أن

صراعا محدثا أو مستجدا منذ ٢٠١١ فقط قد انتهى لصالحهم!.

ولست أبالغ إذا قلت إن بعض هؤلاء الانقلابيين كانوا يظنون أن النصر قد تحقق لهم بالاستيلاء على أرض قصر الاتحادية وإجلاء الرئيس المنتخب من هذه الأرض إلى مكان غير معروف، والاستيلاء على أرض مجلس الوزراء وإجلاء الوزراء منه، وعلى أرض مجلس الشورى وإجلاء أعضائه منه، إلخ. لكنهم فوجئوا بأن هناك معركة جديدة غير معركة الإجلاء والجللاء تبدأ في فرض وجودها، وأن عليهم أن يعترفوا بسرعة أنهم يجاربون، وأن عليهم أن يختاروا وصفا مؤثرا لعدوهم الذي خلقوه بسرعة وعن عمد، وأن يكون هذا الوصف مبررا لإقناع جنودهم الذين يفترض أنهم من أبناء هذا الشعب.

٦

وبدلا من أن يختار الانقلابيون شعار محاربة الفوضى أو محاربة الفساد أو محاربة الفشل مما كان سهلا عليهم أن يلجأوا إليه، فإنهم بحكم المنظور المتاح أمامهم عن علاقات وأهداف القطب الذي يرتبطون به ويأخذون دعمه وتوجهاته، وجدوا أنفسهم مضطرين والسعادة تغمرهم إلى استخدام شعار «مكافحة الإرهاب».

٧

ومن المؤسف حقا أن بعض هؤلاء الانقلابيين لم يكونوا يعرفون حجم الصواب أو نسبته في حقيقة مرة ومريرة تعرفها كواليس السياسة والحياة الأكاديمية في المجتمعات الغربية، وهو أن مكافحة الإرهاب تعبير «كودي» (رمزي) عن مكافحة الإسلام.

وهكذا، فإن العسكريين المصريين ومعهم كثير من الانقلابيين الذين تعددت رؤاهم وأهدافهم قصيرة النظر، وقعوا دون إعلان ودون اعتراف في فخ تاريخي ومأزق فلسفي أو منطقي أو وجودي، وهو أنهم أصبحوا يعادون هوية شعبهم، بل هويتهم هم أنفسهم، وهو ما اتضح لهم لاحقا حين انزلت قرارات الانقلاب بطريقة آلية إلى إغلاق المساجد والهجوم عليها ومنع الصلاة فيها، وتحديد وقت للخطب، ومنع الأئمة، والقبض على المتدينين، ثم إلى مراحل أخرى من احتقار الدين وازدراء المتدينين واللجوء إلى آليات من قبيل الحملات الإعلامية، أو التحريضية بلفظ أدق، ثم إلى تهيئة غير مقصودة لأجواء

التحرش الجنسي، ثم إلى اغتصاب المعتقلات، ثم وهذا هو الأنكي اللجوء الشاذ - وإن كان على نطاق ضيق - إلى اعتقال السيدات والإناث لاغتصابهن جهارا نهارا، وهو ما لم يحدث في أفطع الحروب بشاعة.

٨

وفي هذا المقام، أذكر أن مذيعا لامعا فاجأني على الهواء بسؤال مباشر عن توقعاتي للمنتصر في هذه المعركة التي بدأت على وجه غير محسوب جيدا، فأجبت بتلقائية شديدة بمقولة الزعيم البريطاني تشرشل لضيفه حين قال في بداية الحرب العالمية الثانية إن المعركة ستطول وسيفوز فيها من يستطيع أن يفرغ حمام السباحة بفنجان من فناجين القهوة الصغيرة التي ظلت تستخدم قبل أن تنحو البشرية إلى تكبير حجم فنجان القهوة ثم إلى اختراع ما نسميه الآن «المج» (الكوب الكبير).

وكان السؤال التالي مباشرة بعد الإجابة التي استفزت ذاكرة المذيع: وإلى أي حد من الزمن تطول المعركة؟ فقلت: إنني سأفاجئه بذكر حقيقة أن جذوة ثورة ١٩١٩ الحامية لم تنته إلا في عام ١٩٢١، ثم ظلت متأججة حتى ١٩٢٢ و ١٩٢٣ وحتى أصبح للشعب برلمان ووزارة شعبية في مطلع ١٩٢٤.

قال إن ثورة ١٩١٩ كانت في مواجهة مستعمر؟ فأجبت: إن ثورة ١٩٣٠ كانت ضد صدقي باشا واستمرت أطول من ثورة ١٩١٩ حتى أسقطته في ١٩٣٣، وأسقطت دستوره في ١٩٣٤، وأعاد الوحد من خلال انتخابات تقرر في ١٩٣٥، وتمت في ١٩٣٦.

٩

والواقع أنني كنت في تلك الأيام المبكرة لا أبالغ في توقعاتي سواء من ناحية الانقلابيين أو من ناحية الشعب، وكنت أرى الأمور بوضوح تسير في طريق المواجهة طويلة الأمد بعد أن عجز الصراع المستتر عن أن يصل إلى مبتغاه في تحطيم الخلاف الأزلي في مثل هذه الأحوال، ويكمن هذا الخلاف في الإجابة عن سؤال واحد: هل من حق الشعب أن يحكم أم لا؟.

فالعسكر لا يعتقدون تحت أي ظرف من الظروف أن من حق غيرهم أن يحكم، وليس إلى مجادلتهم من سبيل إلى إقناع أو اقتناع، فإذا تحدثت عن الديمقراطيات الغربية قذفوك مئات السنين للأمام وقالوا لك: انتظر حتى نصل إلى مستواهم، وإذا تحدثت عن القيم التي جاءت بها الأديان السماوية قذفوك مئات السنين للماضي وصوروك رجعيًا وجاهليًا، وهكذا.

وليس أدل على موقفهم من كلمة عابرة من المرشح الرئاسي العسكري في انتخابات ٢٠١٢ موجهها الحديث لمذيعه مخضمة حين قال عن منافسه أستاذ الجامعة: سيادته يروح يمارس عمله ويدرس للطلاب في الكلية، لكن يبقى رئيس جمهورية دي حاجة ثانية، «مش شغله!!» ومن الطريف أن هذا المرشح كان قد خرج من منصبه إلى التقاعد منذ عشر سنوات على الأقل، وكان من الممكن للمذيعه حتى ولو كانت من أنصاره أن تذكره بالمنطق المقابل وهو أن سيادته من الأولى أن يذهب إلى مقهى المعاشات ليلعب الطاولة على نحو ما أصبح يفعل الآن بالفعل.

١٠

وقد ظل كثير من العسكريين المصريين المعاصرين يجتهدون بنجاح ظاهر في إخفاء مشاعرهم السلبية تجاه الديمقراطية والأحزاب والانتخابات والبرلمان ومجلس الدولة ومحاكم القضاء الإداري والجهاز المركزي للمحاسبات وكل عناصر المنظومة الكفيلة بتصوير مصر في صورة الدولة الديمقراطية القابلة للتعامل معها في القرن الـ ٢١ حتى ولو لم تكن الصورة حقيقية تمامًا.

ومن الحق أن نقول إن عصر مبارك الذي شُوّه بفاعلية بفضل أجهزة العسكريين أنفسهم عقب خروجه من القصر وقبل دخوله إلى السجن، كان قد حافظ على عناصر كثيرة من هذه الصورة الخادعة في مواجهة الرأي العام العالمي، ولم يكن يقبل بخدش هذه الصورة إلا في أدنى الحدود، لكن الانقلابيين أظهروا رغبة حقيقية في تحطيم هذه الصورة، مستندين إلى تأييد أميركي خفي تحت دعاوى مكافحة الإرهاب التي لا تعني كما ذكرنا إلا مكافحة صعود الإسلام السياسي.

وفي وقت من الأوقات، بدأت أنبه الرأي العام إلى أن الكلمة الغربية التي تترجم إلى «الإرهاب» لا تعني الإرهاب، وإنما تعني شيئاً آخر مختلفاً قد يكون أقل وطأة أو أكثر وطأة من الإرهاب، لأنها تعني العنف المسلح فحسب، وبلغ بي الأمر أن أكرر النصح للميركيين أن يستعملوا كلمة إرهاب كما هي على نحو ما استمعوا إلى نصحي من قبل باستخدام كلمة جهاد كما هي، ذلك أن الانقلاب العسكري استدعى من أدبيات الإسلام دون أن يدري معنى نبيلاً هو القوة الضرورية لإرهاب العدو وهو المعنى الواضح بجلاء في قول القرآن الكريم ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ، وفي الآية نفسها ﴿تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأأنفال: ٦٠].

وهكذا، بدا كأنها كانت الإستراتيجية التي صيغت على عجل كفيلة بأن تطيل نفس مقاومة الشعب للانقلابيين، وهو ما حدث بالفعل مع كل استفزاز كان يفرضه اللجوء إلى الحمق في تنفيذ إستراتيجية حمقاء صيغت دون حياء ودون تفكير، لكنها لحسن حظ الشعب وضعت الانقلابيين في أسوأ صورة يمكن أن يوجد فيها أمثالهم حيث أصبحوا بكل ما يفعلونه مجرد دمي على مسرح العرائس يلعبون ضد مصلحة وطنهم وضد هويته، فيزيدون من كل ما من شأنه أن يطيل من نفس الجماهير في صمود رائع وتحد بديع، بينما هم لا يتمتعون بقدرة موازية على صياغة صمود مقابل إلا بالسلاح.

تعقيبات

Abu Hakim

«بارك الله فيك وجزاك الله خيراً. قال الشاعر: ماذا أقول لأدمع سفحتها أشواقني إليك، ماذا أقول لأضلع مزقتها خوفاً عليك. كم من الدموع سفحت ومن الدماء سفكت وكم من الأضلع والأجساد مزقت لتنال أمتنا حريتها؟ خرج المستعمر المجرم وسلم الأمر لعملائه من عسكر وحكام خونة خانوا الدين والوطن وأرکعوا شعبهم لولي نعمهم المستعمر. وكلما حدانا أمل قام (. . .) بطمسه بحجة ما والآن يلصق (. . .) على خيانتة يافطة مكافحت الإرهاب إرضاءً لأسياده. ولكن أملنا لن ينطفئ.

أديب القصر اوي. القدس

أقل ما يقال في الدكتور الجوادي أنه مخلص للأمة مع الحق ولا يأتيه الباطل أبداً. ببساطة يا دكتور هو انقلاب مدعوم صهيونياً وبملحقات الصهيونية في الوطن العربي.

Ali Abdullah

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] ﴿ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٧] .

جلجامش

«إن صناعة المنظمات الإرهابية هو وسيلة الطغاة العرب ومن خلفهم أسيادهم لمحاربة تطلعات أبناء الأمة العربية نحو الحرية. فكم هو مقزز أن يتباكى الجميع على عين العرب وينسون مجازر النظام في سوريا وعندما يتباكى القتلة على مجزرة شارلي ابدو ومليشيات السيبي تقتل مشجعي كرة القدم. ثم يتباكون على الكساسة وهم يامكانهم أن يقضوا على داعش والنظام السوري معا في بضعة أيام ولكنهم لا يفعلون».

ابن سعيد

«بارك الله فيك ونفع بك وبعلمك يادكتور محمد. . . أنت أيضا وغيرك من الكتاب المحترمين تملأون أحواض الحق بفناجين القهوه الصغيرة وتمزقون خيطا خيطا ملابس الانقلابيين التي يحاولون التستر بها».

المنشار

«رايسن في كتابه الأخير ذكر المليارات التي تنفق في الحرب على الإرهاب وأن تصبح مليونيرا بين عشية وضحاها لا يلزمك أن تفعل ما فعلته جوجل أو مايكروسوفت. كل ما تريده أن تنضم إلى سكه الحرب على الإرهاب بإنشاء شركه تجسس بمسمى آخر فسوف تتدفق عليك العقود من كل مكان في الغرب ولا شك أن الانقلابيين وغيرهم قد أدركوا ذلك وركبوا الموجة حتى لا نفوتهم الفرصة وهم كالمنشار يأكل ذهابا وإيابا يحاربون الإرهاب ويصنعونه بنفس الوقت وداعش بدورها توفر الوقود لهذه الحرب».

مقال رائع

«مقال رائع من رجل يتمتع بمصداقية وتحليل جذاب ومقنع، ، كالعادة واستمرارا لمسلسل الفشل سيقول السيسىون أنك إخواني، ، أتفق معك تمامًا أن محاربة الإرهاب هو محاربة الإسلام وهو واضح وضوح الشمس في الإعلام المصري الممول من ساويرس وغيره من الحاقدين علي الإسلام، ،» .

بريء من الإرهاب

«الإرهاب يا سيدي ولد وترعرع وشب وشاب واستوى في ثكنات العسكر العروبي. الإرهاب صناعة عسكرية عروبية ومنتوج قومي عروبي بالتنسيق مع الصليبيين واليهود والصهيونية العالمية. . القوميون العرجيون والعسكريون العرجيون أيضا هم الخم الذي ترعرع فيه الإرهاب».

Tantan

«من أين أبدأ؟ لا أدري! يتكلم الكاتب عن التواطؤ الأمريكي مع السيسي ومن يومين كانت الجماعة مجتمعة مع أوباما وقبلها الخارجية الأمريكية! يتكلم عن حراك في الشارع ولا نري سوى المئات من أصل ٩٠ مليون. يتكلم على أن السيسي اخترع الإرهاب كحجة لبقاء النظام وكأنه لا يرى ولا يسمع ما يحدث في سيناء ومحافظات مصر. ليته قرأ مقال الهويدي الذي يفند فيه الإرهاب في مصر قبل أن يكتب مقالته. والله لا أدري ما أقول. العوض على الله في عقول فطاحل الإخوان. الله يهديك ويهدي قلبك.

□



الباب الرابع
شردمة المجتمع
والبناء على الشقاق

الفصل العاشر

هل يمكن إنهاء وجود المجتمع المدني؟

١

أثار حديثي المتكرر عن أن السلطة الأولى في عالمنا المعاصر هي سلطة المجتمع المدني كثيرا من التعجب والاستياء.

وعلى حين أن التعجب يدعو أصحابه إلى مزيد من التفكير ومراجعة الرأي وربما مزيد من الاقتناع به، فإن الاستياء ينذر بما يمكن وصفه بأنه إنذار شديد الخطورة.

وذلك لأن هذا الإنذار صدر عن سلطة عسكرية لا يمكن مناقشتها بأي حال من الأحوال (!) وليست على استعداد للرجوع فيما تعتمد من قرارات تصدرها بناء على مشورة ساسة فاسدين جلبوا لأوطانهم النكسة مرة أو مرتين، ولا يزالون يعملون من أجل تكرار النكسة وهم يحبونها ويسعون لها لأنها تخلق المجال الأمثل لإظهار حكمتهم ومهارتهم وقدرتهم المزعومة على التحليل الدقيق للمجتمع الدولي وإستراتيجية الأوضاع! .

ثم الأهم من هذا أنها تهيبى لهم موقع الأهمية المتقدمة في العلاقة مع الخارج بكل مزايا هذا الموقع ماديا ومعنويا.

٢

وقد كان من حسن الحظ أن هذا الهجوم الشرس والمتوقع أن يتنامى على وجود المجتمع المدني ذاته من خلال التجني المتكرر والمتنوع على مؤسساته، يتواكب معه وعي عميق لدى الأذكياء بضرورة وحتمية العمل الجاد على الحفاظ على المجتمع المدني وما يمثله، ويصل هذا الفهم الجاد في بعض الأحيان إلى النصح بمحاولة إبعاد الضوء عن نجاحات المجتمع المدني حتى لا تكون بمثابة استفزاز أصفر للسلطة الحمراء أو الحمقاء.

وفيا بين هذا وذاك فإن الذين يثقون في حقائق التقدم الذي أحرزته البشرية يدركون بكل ثقة أن عجلة الزمن لن تعود إلى الوراء، وأن هذه المحاولات الرجعية المستميتة لا

يمكن أن تؤول إلا إلى العدم.

وفيما بين هؤلاء الواجلين الخائفين على روح العطاء في المجتمع وهؤلاء الوثائقين من أن الزمن كفيل بالانتصار على الرجعيين، يأتي أيضا دور الذين يجبون أن يتأملوا التجارب الحديثة ليستخلصوا منها رؤية حاكمة أو أملا في الفوز أو آلية للحماية.

٣

وليس من قبيل المبالغة القول بأن المجتمع المدني في العالم العربي والإسلامي نشأ مبكرا جدا، وأنه توالى في تجلياته عبر العصور والدول المختلفة، حتى إذا ما وجدت فكرة الدولة الحديثة فإن كيان المجتمع المدني عبّر عن نفسه على نحو منظم ومنظم وفاعل وملتمزم بالقانون والأخلاق والمجتمع والعلاقات الدولية.

وقد كان من أبرز سمات هذا المجتمع أنه استهدف في برامج ونشاطه (على حد سواء) العمل الجاد من أجل قيم العطاء والإحسان والفضل، وقد تأكد هذا السلوك في الوقت الذي عرفت فيه بعض المجتمعات الغربية بعض منظمات المجتمع المدني التي لم تكن تستهدف خدمة المجتمع بطريقة مباشرة، وإنما كانت ترفع راية العمل على تحقيق مصالح أعضائها، والحصول لهم على وضع أفضل مما هم فيه، وهو ما يمكن تلخيصه في كلمتين تمثلها ثنائية الحل والإحلال (أي حل المشكلات والإحلال الطبقي).

٤

وقد ترسخ مفهوم العطاء المجتمعي المرتبط بالقيم في منظمات العالم العربي والإسلامي إلى الحد الذي عبر عن نفسه في التسمية التي تقبلها المجتمع لهذه الجمعيات وأثر إضافتها على نشاطها وهي تسمية «الجمعيات الخيرية».

ومن الإنصاف أن نذكر أن التاريخ ينبئ بأن هذا المفهوم قد ترسخ وتؤكد وظل بمثابة الراية المسيطرة والطابع المميز لأداء «الجمعيات» أو منظمات المجتمع المدني على مدى فترة طويلة من الزمان.

وفي مصر على سبيل المثال بلغ الاهتمام الشعبي بالجمعيات الخيرية حدودا غير مسبوقة، وكما كانت هناك جمعية خيرية إسلامية فقد كانت هناك جمعية قبطية مناظرة،

وكان قانون الجمعية الخيرية الإسلامية يشترط لعضويتها مائة جنيه مصري كانت قيمتها في ذلك الوقت تقترب من ربع مليون جنيه بأرقام اليوم (حيث كان الجنيه الذهب يوازي ٩٧٪ من الجنيه المصري).

وقد تمكنت هذه الجمعية بوقفياتها التي انتشرت في ربوع القطر أن تؤسس عددا كبيرا من المشروعات العامة التي لا تزال بعد مرور مائة عام تعطي وتغطي بخدماتها قطاعات عريقة وواسعة من أبناء الشعب وفي مقدمتها المستشفى العظيم على النيل في حي العجوزة، وهو المستشفى الذي لم تستطع الدولة أن توجد نظيرا له بمثل هذه الأريحية.

٥

وربما يصل اندهاش القارئ إلى حد الصدمة حين يعلم أن مستشفى أبو الريش للأطفال الملحق بقصر العيني نشأ من خلال جهود أهلية، وأن هذا المستشفى الذي أنشئ في أواخر العشرينيات من القرن الماضي كان يتمتع بشبكة رفيعة المستوى من التكييف المركزي الكفيل بتقديم أفضل الخدمات لهذه الفئة الحساسة من المرض (على حد التعبير الطبي) وهي الشبكة التي لم تتوافر في قصور الحكام أنفسهم إلا بعد عقود من الزمان.

وتمتد هذه المظلة لتشمل مستشفيات ساحقة التفوق في معمارها وموقعها وتجهيزها وأدائها من قبيل المستشفى القبطي والمستشفى الإسرائيلي (على الجانب المقابل من شارع الملكة نازلي الذي أصبح الآن شارع رمسيس).

ومن الطريف أن مسار كوبري ٦ أكتوبر قد حال دون الاتصال البصري بين هذين المستشفىين الكبيرين وإن كان الإسرائيلي أكثر فخامة وأكبر حجما، وإن كان قليلون الآن هم الذين يعرفون أن هذا هو المستشفى الإسرائيلي، ذلك أن لافتة المستشفى العسكري العام للعائلات مرفوعة عليه بكل قوة منذ صادرته الدولة المصرية.

أما مساجد مصر ومدارسها وكتاتيبها ومكاتب تحفيظ القرآن فيها فهي ناطقة بكل وضوح بالحديث عن الجمعيات الخيرية أو منظمات المجتمع المدني التي أنشأتها في الوقت المناسب في المكان المناسب، وقد ازدهر نشاط المجتمع المدني حتى كانت منظماته هي مجال العمل الأول لوزارة الشؤون الاجتماعية حين أنشأها علي ماهر في ١٩٣٩.

٦

يدرك المصريون ملامح كل هذا التاريخ المضى في سهولة ويسر لكنهم ربما كانوا ولا يزالون بحاجة إلى فهم التطورين الحاسمين اللذين أثرا بالسلب ثم بالتحول في نشاط المجتمع المدني في مصر.

فأما التطور الذي أثر بالسلب على هذا النشاط فقد كان هو نشأة الدولة الشمولية في العهد الناصري الذي لم يكن يستوعب ولا يرحب بفكرة أن يقوم أحد غير الدولة بما كان يعتقد أنه مهام الدولة.

ومن الثابت تاريخياً أن هذا المعنى تأكد من تلقاء نفسه بفعل ظروف دولية ازدهر معها العالم الثاني (أي الدول الاشتراكية التي لم تقبل هذه التسمية) وكان أبرز جمالياته وإنجازاته هو الحرص الشديد على تحقيق حدود عالية من الخدمات العامة وانتشارها إلى درجة تضاعف معها المجال المطلوب أن تشارك فيه الجمعيات الخيرية بعدما نجحت الدول الاشتراكية متنافسة ومتآزرة في خلق صورة الدولة ذات القدرة الفذة على تقديم الخدمات العامة على أوسع نطاق.

٧

ومن الصحيح أن يقال إن هذه الدول سرعان ما ناءت بهذه المسؤولية لكنها كانت في كثير من الأحيان سرعان ما تتجه إلى الإصلاح وإلى محاولة إعادة النظم وإعادة السيطرة لا إلى إشراك المجتمع في دورها الذي اختصت نفسها به.

وقد حاولت الدولة الشمولية في مصر أن تتبنى هذا التوجه وتسير عليه، وقد بدا للعيان بفضل الدعاية القوية أنها نجحت في خطوات واسعة في طريقها هذا لكنها سرعان ما وجدت هزيمة ١٩٦٧ تحذلها تماماً وتحول بينها وبينه.

ومع هذا الاحتياج المفاجئ والشديد فإن الدولة لم تستعد دور المجتمع المدني ولا كانت راغبة في استعادته ولا في مجرد التفكير فيه، فضلاً عن هذا فإن سياسة التأميم والمصادرة كانت قد استولت للدولة على ما لم تكن على الاستعداد للتفريط فيه بأي صورة من أراض وعقارات بل ومنقولات.

وفي هذا الصدد يمكن لنا أن نشير إشارة خاطفة إلى ما أثارته جهود عبد الحميد بدوي باشا في استعادة بعض أوقاف الجمعية الخيرية الإسلامية من الدولة كي تمّول الجمعية أنشطتها، وقد نجح جزئيا حين استصدر من الدولة قرارا بأن تترك من كل وقفية من وقفيات الجمعية مائتي فدان للجمعية على حين كانت الدولة قد استولت على كل أراضي الجمعية ولم تترك لها إلا مائتي فدان فقط!.

٨

وعلى نحو ما أصبحنا نعرفه الآن من طبيعة سياسات عبد الناصر التي لم يعرفها أحد في وقته، فإنه لم يستطع أن يفعل في أوقاف الكنيسة ما فعله في أوقاف المسلمين، وهكذا كانت الأغلبية تطالب بأن تعامل معاملة الأقلية! والله الأمر من قبل ومن بعد.

أما التحول الثاني الذي أصاب منظمات المجتمع المدني فلعله أهم ما في الموضوع كله من وجهة نظر العسكريين والدولة الشمولية والدولة الأمنية جميعا، وهو قصة التمويل الأجنبي، وهي رواية طويلة لم يكن للعسكريين الأمنيين فيها حديث عن توجه ولا عن ديمقراطية ولا عن تحول ديمقراطي وإنما كان يهتمهم هذا التعامل المفيد مع المال الذي وجدوه يمر من تحت ذقونهم إلى داخل المجتمع فيبدل الوضع من حال إلى حال.

لكن أحدا بالطبع لم ولن يتحدث هكذا على نحو صريح عن المال وإنما سنجد الحديث زاعقا صاعقا عن هذا «التدخل الأجنبي» الذي اتخذ صورة «التمويل الأجنبي».

ونجد حديثا زاعقا صاعقا عن هذا الاعتداء على السيادة الوطنية والقرار الوطني والأراضي المصرية والأمن القومي وإرادة الشعب. . وكل ما يستدعي استنفار قادة الجيش لأنفسهم من أجل أنفسهم.

تعقيبات

سامان عبدالكريم

«أتاتورك في تركيا وعبدالناصر في مصر، والبعث في سوريا والعراق، أصنام أجبروا الناس على عبادتهم أكثر من نصف قرن بديلا عن الله - سبحانه وتعالى -، ما زال المثقف يفكر ألف مرة قبل ان ينطق بكلمة تسيء إلى الآلهة المزعومة، والمشكلة اننا لا نستطيع مراجعة تاريخنا واستخلاص الدروس منه إلا من خلال التعرض لهذه الأصنام وتحليلها، وهذا محرم من زاوية قدسية الدين وعبادة الأصنام، لقد

نجح الغرب تماما في مخططهم، وهو إخراج المسلمين من دينهم وتحويلهم إلى مسوخ، سب عبد الناصر أو صدام أو أتاتورك يمكن أن يكلفك حياتك».

«والنتيجة أن يصبح الإسلام الدين الرابع أو الخامس في بلد يظن أهله أن المسلمين هم الأكثرية، فالدين الأول حسب الحصانة هو المسيحية ثم العلانية ثم الإلحادية ثم الناصرية ثم الإباحية ثم الإسلام، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي تستطيع الشرطة محاصرة جوامعه ثم اعتقال المصلين بداخله ثم تكديسهم في سيارة مغلقة وإلقاء قنابل غاز داخل السيارة ليموتوا جميعا، ثم حرق جثثهم بدون أن يتدخل أحد، إغلاق جميع الجمعيات الخيرية الإسلامية ليأتي النصارى ويتصدقوا على فقراء الدين الخامس، راتب القسيس خمسة أضعاف راتب الإمام».

جمال النهاوندي

«عزيزي سامان، اعتقد أنك تخلط المفاهيم، فتجتمع العلمانية مع الإلحاد، فالعلمانية نظام سياسي يفصل الدين عن نظام الحكم ويعتقد قسم كبير من المسيحيين والمسلمين أنه الأصوب من غير أن يكونوا ملحدين، أما الإلحاد فهو بالنسبة لي رأي شخصي بأن الأدلة الدينية عن وجود خالق أو حياة بعد الموت غير مقنعة، وليس لهذا الرأي علاقة بالسياسة. ما يحتاجه وطننا العربي سياسيا هو العلمانية، أما بالنسبة بالإلحاد فلا نطالب أكثر من أن يكون لنا نفس الحرية التي تستمتع بها أنت وجميع الناس من مختلف الأديان من غير خوف أو عقاب».

سامان عبدالكريم

«ليس صحيحا ما تدعيه يا جمال، أنتم الملاحدة تحكمون العالم الإسلامي منذ مائة عام، وكانت أتعس فترة مرت على العالم الإسلامي منذ أن بعث الله رسوله بالهدى ودين الحق، وما حكم الإسلام أبدا بعد الحرب العالمية الأولى إلا في حالات نادرة جدا، وتحالف شياطين الانس والجن لتدميرها، طالبان أفغانستان، والمحاكم الإسلامية في الصومال، وكانوا تجارب رائعة رغم هول الدعاية المضادة من العالم أجمع، أسأل الصوماليين عن تجربتهم مع المحاكم، وما قبلها وما بعدها، تركيا تجربة رائعة، ونجاح الإسلاميين لا ينكرها إلا معاند أو مكابر».

جمال النهاوندي

«إن الدول العربية لا تعترف بالإلحاد ولا تعطينا حقوقا وأغلبنا من الملحددين العرب ملحد وبالحفاء نستخدم الأسماء المستعارة على الإنترنت حيث نجد حرية نفتقدها في المجتمع العربي، ولو أننا حصلنا على حرية كاملة من الاضطهاد فأسأستغرب أن يكون عددنا في أحسن الأحوال أكثر من خمسة بالمئة من المجتمع العربي، ومع هذا فإن الإخوة المعلقين يعتقدون أن الملحددين العرب هم السبب لظلمهم وتعاستهم وليس مسلمون مثلهم: أي أن من لا يتفق معهم من المسلمين الآخرين يدخل اوتاماتيكييا في

خانة الملحدين!!».

Abu Haki

«الحل الوحيد هو إقامة الحكم الإسلامي بالقوة كما فرض علينا الملاحدة مشروعهم بالقوة وتطبيق القرآن والسنة بحذافيرهما حرفياً ومسح الإلحادية من عالمنا الإسلامي عن الوجود لأن البادئ أظلم. لقد كنت أفكر دائماً بالاعتدال والتعايش بين الأفكار المتعددة ومشاركة الجميع في إدارة المجتمع ولكنني اكتشفت وقاحة وتعنت وجرائم الملاحدة فغيرت رأبي. ولا أمان للكفار».

العمورى محمد: «أنهى الشعب أحسن».

عبده

«مقال ظريف لطيف شائق يضع النقط على الحروف ويوضح الكثير من الأسرار التي كانت في طي الكتمان ولا تستطيع وسائل الإعلام التحدث عنها».

حسن النجار

«بحث شيق لكاتب ممتاز ونريد كشعب ان نعرف المزيد عن أساس الفساد في مصر».

Fatima Hussein

«أقدر هذا الرجل وأحترم آراءه التي تتم عن علم وثقافة لا تتوفر لكثيرين ممن هم على الساحة. أدعوا الله أن يحفظ مصرنا من كل سوء وأن يبارك في شعبها الأبى الذى لا يقبل الضيم أبدا».

□

الفصل الحادي عشر

هل يتمزق النسيج الاجتماعي بفعل الانقلاب؟

١

في الأسابيع الأولى عقب ثورة ٢٥ يناير/ كانون الثاني ٢٠١١، أصبح واضحاً أن الأمة المصرية بدأت نوعاً من المصالحة مع مشكلات تاريخها الاجتماعي التي فرضتها عليها أخطاء ستين عاماً من السيطرة العسكرية أو الأمنية على مقدرات الأمور.

وتجلى هذا بكل وضوح في ميل عارم إلى التسامح مع الآخر، وفي اندفاع إيجابي شديد ومحموم نحو تولى المسؤولية عن الشارع، وهو ما تجلّى بكل وضوح في قيام الشباب مباشرة بتنظيف ميدان التحرير وتجميله عقب التنحي، ثم انطلاقهم إلى كل الشوارع والميادين الأخرى لصنع صور حضارية للوطن.

وقد تأهل هؤلاء لأداء مثل هذه المهمة التي لم يكن أحد منهم أداها من قبل، بأن ارتدوا القفازات المعالجة والكمادات واستخدموا الأكياس السوداء الكبيرة، وهكذا نقلوا إلى الشارع أخلاقاً افتقدها منذ زمن طويل.

كان هذا مثلاً معبراً وموحياً إلى أبعد حد، وقد أعقبه تطور أكثر عمقاً بدأ في التشكل بصورة واضحة بعدما تكشف أسرار مسئولية بعض أجهزة الدولة الأمنية عن أحداث مؤسفة وبارزة في إطار ما يسمى تدمير الوحدة الوطنية.

٢

ما إن تكشف هذه الأسرار حتى بدا للجميع أن العلاقة بين المسلمين والمسيحيين قابلة لصياغة جديدة تقوم على أساس من الوضوح الكافي والحب القديم والمصير المشترك والأرض الواحدة والسماء الواسعة.

لم يكن هذا كله مما يبعث على الارتياح في أوساط الجار الملاصق لمصر، المرتبط معها بمعاهدة سلام يتمثل الضامن الأكبر لها في وجود حد أدنى معقول من القلاقل الداخلية في مصر.

كذلك فإن بعض أجهزة الدولة العميقة في مصر كانت قلقة إلى حد مَرَضِي من تنامي حالة الشفاء التام للنسيج الاجتماعي، وهي الحالة التي تؤدي إلى فقدان هذه الأجهزة لوظيفتها وربما للأبد.

٣

كان هذا الجهاز قد استسهل في السنوات الأخيرة من عصر مبارك أن يعتمد على السيناريوهات الإسرائيلية المعدة سلفاً والتي أثبتت مرة بعد أخرى قدرة فائقة على النجاح المحسوب في تحقيق الأهداف المحددة بدقة، وليس من قبيل المبالغة القول بأن هذه الأجهزة باتت تتحرق لإنجاز مهمة تحريضية على أي مستوى تكفل هدفين:

□ الأول: هو البدء في سلسلة من الأحداث الكفيلة بإجهاض مسار ثورة ٢٥ يناير بعد النجاح الظاهر الذي حققته، وأن يأتي هذا التدخل في صورة استجابة كريمة من الأجهزة العسكرية لرغبة الشعب الجارفة في إيقاف الفوضى.

□ أما الهدف الثاني فكان رغبة هذه الأجهزة في الاستمرار في أداء دورها الذي تعودت على تأديته طيلة ستين عاماً متصلة، باستثناء بعض الفترات القصيرة التي لا يمكن لها أن تعتبر بمثابة انقطاع تيار التسلط الأمني على مقدرات الإنسان، في دولة شمولية لا تمنع في أن تتظاهر بالديمقراطية وباحترام حقوق الإنسان، وخاصة في ظل تزايد الاستحقاقات الدولية المتنامية حول حقوق الإنسان.

٤

وقد بدا للمؤرخ المحترف أن فرحة الشعب العارمة بنتائج ثورة يناير جعلته يغض الطرف عن أحداث مصطنعة سرعان ما أعقبت هذه الثورة واستهدفت بدهاء شديد جذب الأنظار بعيداً عن الإنجاز الذي تحقق، وتوجيه هذا الاهتمام إلى قضايا تقليدية - قديمة ومتجذرة - من حديث حول فتن طائفية هنا أو هناك يمكن استثارها بسهولة شديدة.

وكان هذا هو جوهر ما حدث في أطفیح على سبیل المثال.

بید أن الفرحة العارمة والمسئولية الواضحة للمجلس العسكري عن شئون البلاد سرعان ما دفعت السلطات المسئولة إلى محاصرة الأزمة على نحو جيد، على الرغم من أن سلطات أخرى قريبة هي التي خلقت الأزمة.

وفيما يبدو فإن المجلس العسكري بدأ يفكر في الجانب الذي يقف فيه في مثل هذه الأزمات: هل يتحمل تطلعات الشعب إلى النهاية ويدافع عنه إلى النهاية وعلى حساب نفسه وهو الذي لم يتعود على مثل هذا العطاء الأمني في مسؤليته السابقة، أم أن الأولى أن يكون مستثمرا للأحداث؟.

٥

بطريقة أخرى كان الرجل الثري الذي يملك ضمن ما يملك شركة كبرى للمقاولات قد سمح لنفسه بأن يفكر بطريقة مادية: أيها أكسب له، أن يبني المستشفى لأهل قريته مجانا، أم أن يستغل موقعه المجتمعي والتشريعي الجديد في أن يدفع الحكومة إلى إدراج بناء مستشفى لقريته في خطة التنمية، ثم تدخل شركته إلى المناقصة وتفوز بالطبع بعقد البناء، ولا مانع عنده بعد هذا من أن يخصص ١٠٪ من الأرباح الناشئة عن البناء والمقاوله لصندوق دعم المستشفى؟!.

بالطبع فإن الباشا الحقيقي أو القديم كان يفضل أن يبني المستشفى من ماله، لكن باشاوات العصر العسكري جميعا كانوا يفضلون الخيار الثاني، وهكذا وجد المجلس العسكري نفسه يوافق على خطة طرحها أحد ثعالبه الذين اتصل عملهم بالأمن، وبدأ المجلس يورط نفسه في الآليات الأمنية بذات الأسلوب القديم الذي كان الأمن يتورط به في عهد مبارك.

وتكررت تجارب المجلس العسكري دون أن يصدق أحد أن هؤلاء القادة قبلوا لأنفسهم المشاركة في مثل هذه المباريات الصغيرة.

وظلت مناقشات المراقبين تدور حول طبيعة ما يجري بالضبط إلى أن كان حادث ماسبيرو بمثابة الحادث الفاصل الذي كشف المستور للقادرين على الفهم.

٦

وبعيدا عن الصياغات الأكاديمية فإنني أستطيع تصوير القصة باختصار شديد وتبسيط أشد قد يفقدان الصورة المرسومة الآن على أيدينا بعض الدقة.

في ظل هذا التحفظ، نستطيع أن نروي أن الثعلب العضو في المجلس العسكري تمكن من خلال المناقشات البيزنطية أن يقنع مجموعة من النشطاء الأقباط الذين التقاهم، بأن من واجبهم أن يحافظوا للكنيسة على دور في الحوار الوطني والوفاق الوطني، وأن هذا لا يمكن أن يحدث بدون مسيرة أو مظاهرة كبيرة تتوجه إلى هدف كبير، وتتسع للاتجاهات المختلفة من طيف المسيحيين الواسع الذي يبدأ بالتعقل وينتهي بالتهور على يد فلوباتير وأمثاله.

٧

وهكذا يمكن للرأي العام المحلي والعالمي أن يعرف أن هناك شيئا اسمه الأقباط والكنيسة القبطية في مصر.

في الوقت ذاته وعلى طريقة الأمن القديمة، كان الثعلب يجهز خطة مواجهة عنيفة لهؤلاء الذين أشار عليهم بالخروج، وكان على يقين من أن إثارة واستثارة الشحن الإعلامي على الطرفين كفيلا له بأن يحقق نصرا مبينا في تصوير الأوضاع على أنها مأساوية ومهددة لسلامة الوطن، ولا يمكن أن تتوقف وتزول إلا بتولي العسكر السلطة بصفة نهائية لا مؤقتة.

٨

وبدون الدخول في التفاصيل التي ستتكشف مع مضي الأيام، فقد مضت الأمور على نحو ما تصور الثعلب:

- مظاهرة حاشدة، وشعارات متناقضة، لكن المهم منها هو الشعارات القبطية العداوية والطائفية على حد سواء.
- هتافات مسموعة تشجع على الانضمام على طول الطريق من دوران شبرا وحتى ماسبيرو. وفي ماسبيرو بدأ قليلون جدا من المسيحيين المشاركين في المسيرة يعرفون الحقيقة، وهي أنهم كانوا يساقون إلى كمين تم تدبيره على نحو متقن.

- ولأول مرة منذ وقوع ثورة ٢٥ يناير كان هناك استعداد تام لدى قوات الجيش لتنفيذ مخطط معاد للمظاهرات وقادر على القمع.
- ولأول مرة منذ وقوع ثورة ٢٥ يناير دهست المدرعات المواطنين على نحو ما كان يفكر وينصح به بعض رجال مبارك.
- ولأول مرة منذ وقوع ثورة ٢٥ يناير اتخذ الإعلام المصري الرسمي جانب التحريض الواضح الصريح ضد طائفة من الشعب كانت هي الأقباط في تلك اللحظة، وفي لحظة تالية بل لحظات تالية ستكون هي الإخوان المسلمين ثم السلفيين.
- ولأول مرة كان هناك شهود جاهزون ضد الثوار، وكان أبرز هؤلاء صحفية من الدرجة العاشرة تمت بصلته النسب إلى أحد المشتاقين للوزارة، وقد نالها بالفعل بعد قليل من شهادتها المزورة ضد الشباب الثوري.
- ولأول مرة أصبح هناك رأي عام يتساءل عن الهدف مما حدث دون أن يسمح الإعلام الموجه أو المقيد بوزير جديد أن يمرر حقيقة ما حدث.
- ولأول مرة بدا بوضوح أن الجيش في صف آخر غير صف الوحدة الوطنية.
- ولأول مرة بدا بوضوح أن القتل جميعاً من المسيحيين، وحدثت هنا طرفة درامية تمثلت في وضع قتيل جاهز ضمن القتل، ثم اتضح أن زوجته وعشيقها قتلاه وتخلصا منه، ولم يمانعا في أن يحصلوا على ديته من الدولة في ظل الفوضى، وأن يتبرء في الوقت ذاته من الفعل المفضي بهما إلى الإعدام.

٩

هكذا كانت حادثة ماسبيرو دليلاً قاطعاً فيما بعد تأملها على أن هناك ثعلباً في المجلس العسكري يستهدف في المقام الأول أن يدمر النسيج الاجتماعي لمصر.

ولم يكن أحد ليصدق هذا التفسير الدقيق لما حدث في أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١١، لكن مرور الأيام منذ ذلك الحين وحتى أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٣ كان كفيلاً بأن يكشف كل العاقلين جوهر الحقيقة الرهيبة، مع أن بعض الناس لا يكادون يصدقون أن يتم هذا في بلد من بلاد الإسلام على النحو الذي حدث.

تعقيبات

نشوى المصرى

«هذا الهمام البطل محمد الجوادى لم ولن يكن مثل الإعلاميين والصحفيين لاحسى البيادة فهو على الحق ويدافع عن حق فنقول له سر على بركة الله ولا تحزن إن الله معك».

Najim Abdoe

«أمثال الأستاذ محمد الجوادى نفتخر ونعتز بهم وهؤلاء هم أصحاب الفن الحقيقي أما الغناء والتمثيل مجرد هوى نستغل بهم وقت الراحة-أفضل لاعبي الكرة عليهم لأن لهم شعبية واسعة والدليل ما شاهدناه في نهائي كاس أفريقيا لأنه من سجل الهدف له الحق أن يعبر عن فرحته كما يشاء هو -- وحرقة نار ميدان رابعة لن تنطفي أبدا-وتعير اللاعب بإشارة رابعة حرقت قلوب مديعي إحدى القنوات والعزة للاعبى الأهلي وكم سيرحب بهم في المغرب متيقن من ذلك».

مصرى بيهم

«لقد رأيت الدكتور محمد الجوادى في المطار يوم ٣٠ أكتوبر وكم كانت سعادتى بمصافحته والتحدث معه وأخذ الصور التذكارية معه وللعلم هذه أول مرة في حياتى أفعل ذلك بالرغم من رؤيتى لكثير من الفنانين ولاعبى الكرة المشهورين».

Kapolis

«كما أن الهوية (الاسم) لا يصح أن تُؤسَّس على أساطير كادت تُمسي من المُسلَّات، هذا علمًا أنها لم تنفع يومًا وأنها كانت دائماً تُعيق التقدُّم بدليل نتاجها وحصادها الذي يجنيه في الآن المُؤسَّسون لها. الأساطيرُ المُؤسَّسة. التأسيس والبناء القوي وإلا فإنه الانهيار. لذلك فإن صحفاً مختلفة تحدثت في الأيام التي سبقت الانقلاب وتلك التي أعقبته عن صراع يدور في مصر على هويتها. . الهوية والانتها. الدستور وإقراره. إلغاؤه. لجنة الخمسين. دستور الانقلاب. دستور جمهورية كرة القدم. المُتخَّب الوطني. الأهلي والزمالك».

AXA

«بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦]. . . إنك ملاقي ربك لا محاله، فإذا أنت فاعل حينها يا من خان بلده وامته وشعبه؟؟ يا رب استر علينا وعلى كل شريف وقنا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن. . اللهم إنك تعلم أن لك عباد يستغفرونك ويرجون رحمتك فالطف بحالهم يا لطيف. شكرا للأستاذ الكاتب وللموقع».

جلجامش

«إن النسيج الاجتماعي في كل الدول العربية مستهدف من قبل من يحكم في كل قطر من أجل ضمان استمرار هذه الدكتاتوريات وضمان مصالح من يدعم هذه الأنظمة. ففي الخليج استخدموا المال لإفساد الناس مع عمليات تجنيس لملايين من غير العرب واستخدام وعاظ السلاطين لبث دين منحرف يقتبس من العادات العشائرية أكثر مما يستمد من الإسلام وفي العراق حروب صدام والفساد المالي والأخلاقي إلى طائفة المالكلي التي من خلالها يرسل أموال العراق لإيران وبشار. أما فساد آل الأسد فيعرفه كل من زار سوريا. ويمكن الحديث عن كل الأنظمة العربية».

«ولكن النموذج الذي كشف زيف الجميع هو النموذج التركي فقد كان العسكر يتصرفون بنفس الطريقة في الإفساد ومحدثونك عن علمانيتهم المزيفة وعن السياحة بنفس الطريقة التي يتحدث بها الأسدون والسياسيون الآن فاتى نموذج أردوغان ليكشفهم. إن الحديث عن السياحة في مصر هو حديث عن سياحة الحكام والتجار وفسادهم في أموال وأعراض الناس فالزائر الغربي وجهته ليس شارع الهرم بالتأكيد».

منتصر الصقور/ الأردن

«المهم قبل التثام النسيج الاجتماعي في مصر هو التثام أنسجة وعظام (السياسي) قبل لقاء الوفد الروسي القادم؟».

Kapris

«طبيعي جداً أن يهمني كفلسطيني ما يحدث في مصر، فهذا بلدٌ عربيٌّ مسلمٌ ومجاورٌ لنا في فلسطين. هذا يهمني كما يهمني السوداني والليبي والسعودي ولنقل الجزائري والتونسي والمغربي والسوري واللبناني واليميني وجميع شعوب وبلاد هذه الأمة. كما إن هذه الأمة تهمها أحوال الأمم الأخرى. المصريون. هل تبني هويتك بالنفي؟ هل تنطلق بالقول «لسنا كذا وكذا»؟ «لسنا عرب». مثلاً؟ لسنا مصريين، لسنا مشرقيين، لسنا ناصريين، لسنا سلفيين، لسنا إخوان، ، وتقف عند ذلك؟ التعريف غالباً لا يكون بالنفي، وإن كان به فإنه يلزمه لكن. مسألة».

«أيها الكاتب الكريم، أراها بدايةً وصياغةً ليست بالحقيقية ولا الواقعية ولا العصرية ولا الحداثية، وربما مُنْفَرَة أيضاً للبعض، تلك التي دشنت بها مقالك هذا بقولك وتعبيرك . . . أصبح واضحاً أن الأمة المصرية بدأت». «الأمة المصرية»؟ تعني تلك المربوطة في الأذهان بالفراعنة من «مينا موحد القطرين» إلى «رمسيس» و«حتشسبوت»، وما إلى ذلك من الأساطير وعهد السحر؟ طالما أنك تكتب هنا فعله يكون ضرورياً معرفة أن هناك من قد يظنون أنهم مستثنون بهذا الخطاب أو ذاك فلا يجدون مبرراً لقرائته أصلاً، أو مواصلة قرائته».

Najim Abdoe

«ليس هناك فرق بين ذا وذاك من الرباط إلى مسقط للأسف الأنظمة العربية هي من تفرق بين الشعوب لمصالحها الشخصية أنا لست مصرياً ولا عراقياً ولا فلسطينياً أنا كلهم أنا عربي وممنوع علي دخول أي بلد من الـ ٢١ دون فيزا ومسموح أن أبكي عليهم وكم تأسفت وبكيت على تدمير العراق ونفس الحال ما وقع في فلسطين وخاصة غزة وها نحن نتالم على ما يحدث في مصر لم تدم فرحتنا معها إلا سنة واحدة وحدث الأغرب تاريخياً تخرب بيد أبنائها - حياك الله الأستاذ محمد الجوادى ويا ريت لو كل العرب امثالك» .

حسن النجار

«شكراً لكاتب المقال وللجزيرة ولأصحاب التعليقات الذكية والمستنيرة كلما تكلمتكم تحيي الأمل في الصدور أن النصر للشعوب أت مهما طال ليل المؤامرات والانقلابات الدموية بتمويل تجار الدماء من الأعراب والصهاينة» .

مصري عادي جداً

«هذه الملاحظة هي من أهم ما قرأت عن ديناميكيات الثورة والقيمة الحقيقية للثورة على المدى البعيد فهذه الروح هي أهم مقومات الديمقراطية أو لنسبها بحكم الشعب للشعب على أسس مشتركة وبالتراضي النابع من القلب والعقل معاً. للأسف كانت الدولة العميقة أسرع في اكتشاف هذه الروح فسعت لقتلها قبل أن يعيها أصحابها ويقدرونها بقدرها. شكراً للفيلسوف الجوادى وليت الناس تقرأ وتعي» .

ليال خوريه

«من سورية عادية جداً إلى مصري عادي جداً: نعم وألف نعم انقلاب السيسي وفاشية الأسد ليست أكثر من أدوات يستعملها من يريد عبثاً إيقاف عجلة التحول الديمقراطي في بلادنا. لا شك بأن إرادة الشعوب ستتتصر لكن (هم) يريدون رفع سعر الإنتصار في محاولة يائسة بائسة لاجباط عزائمنا. الشعب العربي سيفرض سيادته على الأرض العربية شاء من شاء وأبى من أبى» .

«لا يوجد شيء اسمه إسلام جهادي متطرف، هناك مخابرات بنت شيء اسمه إسلام جهادي متطرف يُستعمل للتمويه على نوايا خبيثة، ومخابرات الأسد حجر الزاوية في هذه المنظومة. لاحظوا أن «الأعداء المقترضون» يدعون محاربة الإسلام المتطرف وفعلياً يحاربون الإسلام المعتدل. الأسد وإيران والمالكي وروسيا وانقلاب السيسي والسعودية وأميركا يدعون محاربة «القاعدة» وفي نفس الوقت يحاربون من جاء بهم الربيع. لو كانوا فعلاً يريدون محاربة التطرف لدعموا الحرية والديموقراطية، أساس العدل والاعتدال!» .

هشام عبد القادر

«تعليق السيدة خورية يتمم ما كتبه مؤرخنا الكبير. يكفي أنه بعد زيارة وزير خارجية إحدى الدول الخليجية إثر الانقلاب لباريس أن خرج وزير داخلية فرنسا بعد الاجتماع ليقول للصحافة أن الإسلام لا يتوافق مع قيم الديمقراطية والحكم الرشيد».

سعيد

«كنت أودّ التعليق لكن السيّدة ليال خورية لم تدع لي مجالاً، وأقتبس ما كتبت» لو كانوا فعلاً يريدون محاربة التطرف لدعموا الحرية والديموقراطية، أساس العدل والاعتدال! «شكراً لك!».

عدنان هاشم

«ياعزيزي الجميل. كان هذا الثعلب يسوق نفسه داخل المجلس على أنه المخلص وحتى سبتمبر ٢٠١٢ كان يحاول الإدعاء بأنه الأقدّر في مصر، فتسبب بإبعاد وجوه الجيش الرئيسية المتمثلة بسامي عنان وآخرين من قيادة المجلس ليرأس وزارة الدفاع وبدأ بالفعل بتمويل سابق ولاحق من الإمارات والسعودية التي عمل بها لفترات طويلة ولازال أقراره يعملون بخدمة الفريق ضاحي خلفان على التمهيد للمرحلة الثانية من المجزرة والانقلاب. بكل مودة ماكتبته يمثل تحليلاً واقعياً لما حدث».

Filp

«ماذا تريد قوله يا كابرس. هل لك في ما يحصل في مصر؟».

محمد عصمت

«ليال الخورية وضعت اليد على الجرح وهناك من يعلق ولا يفهم (...).».

Dalia

«الحقيقة يا ليالي خورية يعلمها الجميع وواضحة وضوح الشمس. ما يريد الغرب ولهذا هم ينصبون العساكر والأقزام التي لا تهمها مصلحة الأوطان. وما يريدون هو شعوب لا إرادة لها ولا خيارات والمطلوب منها ألا تفكر وأن تكون كالقطعان مستهلكة فقط لما ينتجونه. العالم وصل إلى درجات من الحضارة والتقدم وكأنه يسارع في إنهاء الإنسانية. ارحموا العقول فليرحمكم الله».

محمد

«تحية حارة للسيد محمد الجوادى وبعد، أكيد هذا الكلام صحيح ويكفي التنسيق بين الأحداث لنكتشف المراد الحقيقي للانقلاب وأنصاره الذين خانوا الوطن وشتتوه».

karam yosof

«تحياتي إلى د. الجوادى وأسأل لو العسكر لم يحكموا شعوبهم إذا ماذا سيفعلون؟ ماهو عملهم

ووظيفتهم بالضبط باختصار الجيوش العربية الحالية تخسر حروب وتكابر في قهر شعوب وتساءل لماذا لاندرى سببا لهذه؟ هل الهزيمة العسكرية والضغط النفسي هو ما يجعلهم بهذه القسوة؟ التاريخ يقول العرب ومعهم مصر خسروا جميع الحروب من ٤٨ حتى ٧٣ وهذه المفاجأة من أسرار حرب أكتوبر التي لم يفسح عنها علي الرغم من مرور ٤٠ سنة وتقول تعالّب وأرانّب يا دكتور جوادى هؤلاء لا بد من إعادة تأهيلهم نفسيا واعلم قولهم بفجاجة نحن ضيعنا عمرنا من أجل البلد والشعب» .

أبو حميد الدحبور

«بارك الله في مؤرخنا العظيم فلو كان في الأمة العربية عشرة رجال بصفات مؤرخنا العظيم لكننا بألف خير. القاتل سيقتل ولو بعد حين» .

مراقب من بعيد

«مقال جيد يصف المؤامرات التي حيكت ضد هذه الثورة من طرف الثعابين السامة حتى الانقلاب عليها وملاحظتي ليست على المقال بل على الكاتب اطالب من سيادتكم ان تستعملوا نفس اللغة في تدخلاتكم على قناة الجزيرة حتى يفهمها الجميع لأنكم تخاطبون العالم العربي وليس شعب مصر» .

Faheema

يعجبني الفاهمون. كل من ينتقد غيره ويشد إلى مصلحته الخاصة هل هذا يعتبر فهم؟ ربما كانت ديموقراطية في العهد القديم ولكن في العصر الحديث مصالح مصالح يشترون الأصوات بالدولارات. ألا نرى ما تفعله الدولارات تجلب السلاح والدبابات لتبرمج العقول. فهنيئا لديموقراطية الدولارات» .

حفيدة عمر بن الخطاب

«الله المستعان وكان الله في عونكم أيها المصريون» .

أبو محمد الكندي

«أتمنى ألا يكون حادث مقتل ٥٠ طفل في حادثة باص المدرسة والقطار من عمل عامل !!!» .

abu hesham

«أستاذ محمد حضرتك بتتكلم على النسيج رقم ١ أم ٢ ذلك لأننا الآن عندنا شعبين وربين والدستور والانتخابات لمن عشان الناس مش فاهمة ولا عارفة كيف ستذهب للانتخابات؟ وإلا فهناك شعب آخر سيكتفوا بتصويته؟» .

محمد عادل

«أمريكا تعمل على زرع عملاء لها في مصر منذ أيام عبد الناصر وحتى الآن، خاصة في الجيش والأمن والمخابرات والإعلام. كما تمكنت إسرائيل من زرع عملاء لها منذ مفاوضات السلام المزعوم (استسلام). هؤلاء العملاء أصبح عددهم كبير جدا. وهذا الأمر ينطبق على كل الدول العربية. لهذا لن تستطيع الشعوب العربية أن تتحرر من الأخطبوط الأمريكي والإسرائيلي حتى يتم استئصال هؤلاء العملاء».

حسن من المغرب

«لدي فكرة متواضعة للخروج من الأزمة المصرية يشرف عليها علماء مشهود لهم بالأمانة أن يقدم كل فريق من الفريقين شخصية تمثله لتشكيل حكومة ذات كفاءة مع الإفراج على كل المعتقلين ومن ثمة انتخابات مبكرة تحت اشراف دولي مع الابقاء على مرسي ونائبه الاثنين الذين اختارهما الفريقان حتى تكتمل المنظومة إن كانت لهم نوايا حسنة وعدم إراقة الدماء».

Abd alhaz

«جزاك الله خيرا وحفظك الله يا دكتور فكلما كتبت مقالا كنت مناصرا للحق عدوا شرسا للباطل لأن الباطل زهوقا . .

□

الفصل الثاني عشر مستقبل المسيحيين في مصر

١

عقب الانقلاب مباشرة مررت في أحد المؤتمرات الطبية (القلب) بتجمع من مندوبي شركات الأدوية يقفون مع بعض الأطباء، وكان التجمع قد قارب الانفضاض إلا أن مجموعة صغيرة من الحاضرين كانت منشغلة بحديث وجدته مهما يستحق المتابعة. وأعترف أن بداية رغبتني في المتابعة كانت عندما فوجئت بأن أحد هؤلاء المندوبين المعروفين بالتزلف للزائد للأطباء يقول لهؤلاء إنه أصبح منذ وقوع الانقلاب في موقع جديد يتيح له أن يتخلص تماما من المجاملات غير الضرورية التي كانت ثقيلة على نفسه. ويضيف الرجل إنه كان يجد لزاما عليه أن يهنئ أطباء مسلمين بأعياد لا يرى ضرورة لأن تكون أعيادا أصلا، فهي أعياد أناس آخرين في الجزيرة العربية، وليس في مصر، كما أنه كان يضطر إلى مخاطبتهم باحترام زائد لأن في أيديهم السلطة. وعلى عادة الأطباء فإن طبيبا مسلما فاجأ هذا المندوب بقوله: وهل تظن أن السلطة انتقلت الآن إلى البابا الخاص بك لمجرد أنه جلس في فريق الكورال؟ هل تظن أن الأغلبية أصبحت مسيحية لمجرد أن المسيحيين خرجوا خوفا ونفاقا للجيش في ٣٠ يونيو.

٢

بدأت مناقشة خشنة كان أصحابها قادرين على التحكم فيها وبخاصة أن مندوب شركة الأدوية المسيحي في هذا اللقاء كان يتقبل كثيرا من الخشونة في ظل ما كرهه من سعاداته المفرطة بأن بابا الكنيسة خلع الرئيس صاحب اللحية وكثير الصلوات وأن رأس البابا كان برأس شيخ الأزهر لأول مرة في تاريخ مصر. لكن نهاية هذه المناقشات كانت غير متوقعة، إذ أعلن اثنان من الأطباء المسلمين الذين حضروا هذه المناقشة وكانوا أقرب إلى «الاستماع» لا «المشاركة» بكل وضوح للمندوب المسيحي المتحمس أنهم سيعاملونه من الآن فصاعدا على أنه «صليبي»

متعصب».

بينما قال الطيب المسلم الذي أدار المناقشة مع هذا المندوب المسيحي: إنكم بهذا تظلمون المسيحيين بسبب بعض حماقات مثقفهم، فما كان من أحد الأطباء إلا أن قال المقولة المشهورة التي انتشرت بعد ثورة ٢٥ يناير والتي يجلو للمصريين أن ينطقوها بالنطق العامي الخاطيء الموحى «كل شيء انكشفن وبان» وهم يعنون بها أن الأمور قد أصبحت جلية واضحة.

٣

انصرف المندوب المسيحي بعد أن كان قد تجاوز الحدود في التعبير عن توقعاته بأنه (من الآن فصاعدا) سيأمر!! الأطباء المسلمين بشراء الدواء دون أن يقدم لهم مزاياه أو يقدم لهم بعض الخدمات، وأن أي مسيحي في أي موقع ستكون له الكلمة العليا لأنه صاحب الثورة الجديدة التي وصفها بأنها ثورة المسيحيين على هؤلاء الوافدين من شبه الجزيرة العربية حيث التخلف والرجعية والتقهقر والحسبة والأمر بالمعروف ومنع المرأة من قيادة السيارة، وإجبار الناس على الصلاة في وقتها، وحيث تقطع الأيدي وترجم النساء اللاتي استمعتن بالحب بينما المفروض أن تنصب لهن تماثيل فينوس.

كان كلام مندوب شركة الأدوية المسيحي ثقيلًا على السمع إلى حد كبير حتى أن زميلا له كان مسيحيًا أيضًا حاول تهدئة الجو دون أن يتطرق إلى غرابة طرح زميله أو إلى بعد زميله عن روح المسيحية وعن حب الوطن، فما كان من أحد الطبيبين المسلمين اللذين ظلّا صامتين إلا أن التفت إليه بكل هدوء وأدب وقال له: هل ترى فيما قاله صوابًا؟ وكانت المفاجأة أن الطيب الذي كان يؤدي دور الاعتذار أجاب بثقة متناهية بقوله: بالتأكيد فإن معظم ما قاله زميلي صواب لكن طريقة إخراج الأفكار في الحديث لم تعجبني!!

٤

بعد انصراف المندوب المسيحي المتعصب جاء دور زميله الناعم الذي يجب الإخراج لينصرف هو الآخر، وبقي في الوقفة الطيب المسلم الذي أخذ زمام المبادرة في الرد،

والطبيبان المسلمان اللذان أخذوا القرار ووصفا المندوب المتعصب بأنه صليبي متعصب، كما بقى طبيب مسيحي كان قد تحكم في لسانه طوال المناقشة.

وهكذا أصبحت المناقشة الآن محصورة بين أربعة أطباء : ثلاثة مسلمين ورابع مسيحي ظل صامتا فيما مضى من مناقشات، وإن لم يكف عن الانشغال بجهاز المحمول الذي كان فيما يبدو يقرأ عليه بعض الرسائل والأخبار في مواقع التواصل الاجتماعي.

نظر الأطباء الثلاثة في وقت واحد إلى زميلهم المسيحي وكأنهم يريدون رأيه فيما حدث وفيما سمع، فإذا به يتسم ويطلب من أصدقائه وزملائه المسلمين أن يعطوه الفرصة ليقرأ لهم آخر الأخبار على نحو ما وصلته، وأردف بقوله: لعل هذه الأخبار تهدئ أعصابكم بعض الشيء فلا تفعلون بي أو لي ما فعلتموه في هذين الأحقين.

٥

وبدأ الطبيب المسيحي يقرأ نص الرسالة التي وردت من مصدر عربي كبير بتأييد الانقلاب وبتهنئة الرئيس المعين ثم انتقل إلى رئيس دولة الإمارات ثم إلى الحديث عن دعم هؤلاء للانقلاب، وأردف هذا كله بقوله إذا كان هؤلاء ملوكا مخضرمين في السياسة وقد وقعوا في هذا المحذور فمن باب أولى أن يقع شيخا الأزهر والكنيسة في المحذور نفسه!!.

ثم أردف مرة أخرى بقوله: وإذا كان أهلنا من المسيحيين لم يروا الحقيقة المرة في ماسبيرو حين أرادت الثورة المضادة أن تجعلهم وقودا لحرب طائفية تنهي وجود ثورة ٢٥ يناير وتعيد الأوضاع إلى ما قبل ٢٥ يناير فإنهم يستحقون أن يخوضوا تجربة مريرة أو جراحة قاسية تجعلهم يعرفون طريق مصلحتهم الحقيقية بعيدا عن مشاعر الكراهية التي ينميها فيها بعض قادتهم تجاه الإسلام باعتباره «الآخر» الذي لا بد من عداوته!!.

أفاض الطبيب المسيحي العاقل واسع الأفق في الحديث الذي دار كله حول حقيقة واحدة وهي أنه لا هو ولا ألف مثله من المسيحيين المنتورين الفاهمين للسياسة والمقدرين للوطنية يستطيعون أن يفعلوا شيئا في الوقت الراهن الذي وصلت الأمور فيه إلى هذا الحد المجنون الذي جعل كثيرا من أبناء دينه يؤمنون أن أميركا هي التي ستوليهم حكم مصر

بقوة الجيش المصري الذي سلمت قيادته تسليم مفتاح إلى بعض العناصر الحاكمة في تل أبيب وفي واشنطن.

٦

وصل الأمر أن قال الطبيب المسيحي إنه يأسف كل الأسف لأن يكون مستوى الوعي عند المصريين ومنهم الأقباط قد تدنى إلى هذا الحد، لكنه يعرف (مع هذا) الأسباب ويعرف ما هو أهم من الأسباب وهو أن محاولة علاج هذا الوضع ستبوء بالفشل ما لم يحدث احتكاك حقيقي على الأرض يجعل كل مغرور -على حد وصفه- يعرف حجمه الطبيعي.

كان الأطباء المسلمون الثلاثة مشدوهين من هذه الصراحة المرة التي عبر بها الطبيب المسيحي المستنير عن فهم مختلف لوضع ملتبس كان الأطباء المسلمون حتى هذه اللحظة يتصورونه غير ذلك، ويظنون أن الإعلام هو الذي صوره على هذا النحو الدرامي، فإذا بزميلهم المسيحي يصحح لهم رؤيتهم مكررا عليهم حقيقة أن الإعلام المصري لا يأتي بشيء من عنده ولكنه يأتي بما يغذيه به موجهوه من القابعين في الأجهزة العميقة، وأنه يعرف أكثر منهم كيف تدار الأمور.

ويضيف أنه لا يرثى ولن يرثى لإخوانه المسيحيين الذين يتورطون في مشاعر الكراهية وتقودهم هذه المشاعر إلى مخاطر لأنهم في رأيه يستحقون ما اختاروا، بل إنه تمادى وقال إن وضع المسيحيين في مصر لن يستقيم إلا إذا تخلص الشعب من هؤلاء المغامرين والانتهازيين.

٧

وعلى عكس ما هو متوقع من أن يلقي الطبيب المسيحي بالعبء والمسؤولية على أجهزة الدولة العميقة فإنه قال بكل وضوح إن كل إنسان مسئول عن نفسه، والمسيحية ليست بحاجة إلى هذا التعصب ولا إلى هذه العصابات، وليس من شعار المسيحية أن يطيع القسيس أجهزة الأمن ولا أن يلجأ إليها في كل حين.

وفي بساطة شديدة، قال أحد الأطباء المسلمين لزميله المسيحي: إنك تتصرف بهذه

الثقة والقوة لأنك تعيش حياة خالية من المشكلات بفضل وضعك المهني والاجتماعي الذي يجعلك محبوبا ويجعل طلباتك مُلباة ويجعل ذاتك مَصونة، لكن هذا ليس حال باقي المسيحيين ممن هم أقل منك موهبة وقدرًا.

لكن الطبيب المسيحي الذي تعود الإنصاف رد من فوره بقوله: وأرجو أن تدلوني على ميزة استمتعت بها ولم يستمتع بها أقراني من المسيحيين، وهنا أجابه أكثر زملائه المسلمين بداهة بقوله: يكفي يا أخي أن طباعك هذه ورضاك جعللا كل الناس يظنونك مسلما ويعاملونك على أنك مسلم! ولا ينظرون إليك بريبة أو شك أو توجس.

قال الطبيب المسيحي: لو أن كل مسيحي جعل هذا الوضع شيئًا طبيعيًا لوجده أقرب إليه من حبل الوريد، وعند هذا الحد سأله أحد زملائه المسلمين طالبا منه أن يجيبه بصراحة أين تعلم هذا التسامح؟ وأين أدرك هذا الفهم العميق؟ وأين وجد هذا الحل العبقري للمعادلة الصعبة؟.

٨

وهنا ابتسم صاحبنا وقال: سأجيبكم بما لا تتصورونه وهو أن هذه هي النظرة الحقيقية للمسيحيين الذين أعطاهم الله نعمة الخلاص من المدارس السياسية، وهذه هي الفطرة التي تركناها نحن وأنتم.

ثم اعتذر لهم مما سيقول في آخر جملة له معهم وقال: يا إخوتي من المصريين جميعا ولا استثني أحدا، أنتم الذين ساء تعليمكم ولهذا ساءت أخلاقكم.

تعقيبات

Moonlight

«المسألة القبطية بين الدفاع والعنصرية/ أولا/ لا يجوز النظر في المسألة القبطية على اعتبار أن أقباط مصر من «الأقليات» لأن مصر أساسا بمسئمتها قبطية بالأصل والعنصر فكلنا في الأصل أقباط دخلنا الإسلام أو مسيحيين بقوا على دينهم ثانيا/ إذا أخطأ مسلم في حق قبطى هذا لا يعنى أو يتضمن اتهاما للإسلام كدين كما لو أخطأ يهودى أو مسيحي مع مسلم لا ينسحب لاتهم المسيحية كدين أو اليهودية ثالثا/ قضية الأقباط المسيحيين في مصر هي قضية قوانين وضعية بالإضافة لجهل عام بين علماء الدين وتابعيهم». رابعا/ ليس معنى الدفاع عن تشريعات لتنظيم حقوق الأقباط المسيحيين أن تكون التشريعات الإسلامية على المحك والدفاع عن القبط لا يستلزم نقض شريعة الإسلام وتحليل

محرمات مثل زواج المسلمة من كتابي لان في المسيحية هو ايضا محرم زواج المسيحية من غير دينها لذا يستوجب أن ننظر لحقوق الأقباط باعتبار أنها حقوق شرعية مقننة لهم في الإسلام وليس تفضلا عليهم كما أنها ليس مشروطة بنقض الإسلام واتهامه وتجريفه لأن ذلك يدخل في دائرة العنصرية المضادة ولا يداوى الداء بالداء».

Alaa Alden

«كل شخص يجد فرصة أو يجد ما يدعمه يكون فرعون يظهر ما يخفيه بداخله دون مجاملة ودون أن يحسب حسابه من مشاعر الآخرين حتي لو يكلفه ذلك خسارتهم من الطبيعي أن يخرج ما في داخله فرصة».

أبو ياسين

«هذا المقال لا يعبر عن الواقع والمعيشة الطيبة بين المصريين. وإن كان بين المسيحيين من هو متطرف فهناك المعتدل الرزين. واجبنا أن نقلل من تطرف كل المتطرفين المسلمين والمسيحيين».

Manhorowi

«أنا مسلم محب لديني وأعتز به كثير من الذي بدأ بخطاب الكراهية أولا لماذا تنسون بسرعة ما حدث من الإخوان والمسلمين حين كانت السلطة في أيديهم ألم يفتوا بتحريم تهنة النصارى في أعيادهم ألم يضربوا سيدة مسيحية في الشارع بسبب سفورها وكثير لا يتسع الحديث لذكره الرسول عليه الصلاة والسلام لم يأت بهذا أصلا فقد كان رحيمًا ولينا ودودًا يوجه بلدين ويزور اليهودي الذي آذاه ولا يشيع خطاب كراهية للكفار ولذلك نجحت دعوته وحتى بعد أن تمكن منهم في فتح مكة تركهم وشأنهم».

Walid De

«الزبي الرئيسي للكنيسة هو الأسود لأن ذلك يعني الحزن لفتح الإسلام لمصر وهذه نقطة مهمة يجب أن يعلم الجميع ذلك وأثبت ذلك القرآن (ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) مع هذا الإسلام الذي حافظ عليهم حتى اليوم وفضلهم بعد أن أذلهم الرومان إلا أن هذا بزنس القساوسة وأنهم يدافعون عن تجارتهم ولكن إذا كانوا ذاهبون لتدمير الإسلام الصداقة سوف تتحول لحرب وهم يدركون الجهاد جيدا».

Adel Yousef

«تحول المسيحيين إلى طابور خامس لكل أعداء مصر في إسرائيل ومن ورائها جعل الصدام معهم ضرورة والتخلص منهم هدف عند أقرب صدام. . . لا يمكن أن ننسى لهم فرحة برابعة والنهضة. . لن ننسى لهم تحركهم الحثيث للترويج لحكم العسكر الذي اختاروه رغم أن العسكر من أيام داسوهم بالمصفحات في ماسيرو. . وعندما يقع الصدام لن ينفع اعتذار رامي جان وأصحابه في مجموعة مسيحيين ضد الانقلاب ولا غيره

من عقلاء المسلمين.. ويبدو أن الكمين المنسوب لهذه الأمة يتحرك إليه الجميع».

Tony Yousef

«وقال المندوب المسيحي إنه من الآن فصاعدا سيأمر الأطباء المسلمين بشراء الدواء دون أن يقدم لهم مزاياه أو يقدم لهم بعض الخدمات» «والمسيحيون يؤمنون أن أميركا هي التي ستوليهم حكم مصر بقوة الجيش المصري» ساعات الواحد يقف وقفة مع النفس ويقول يحتمل أن الطرف الثاني على صواب، ويحتمل أن عنده وجهة نظر، ويحتمل أنني مخدوع من الفريق الذي أسمعته لكن مقالة كهده، كفيلا أنها تنبهه، وتجعله يعرف أنه صح شكرًا موقع الجزيرة، وشكرًا الدكتور الجوادي».

«المندوب المسيحي سيأمر الأطباء المسلمين بشراء الدواء دون أن يجدد مزاياه.. هو الأطباء يشتروا الدواء؟ ولا قصده أنه سيأمرهم بكتابة الدواء؟».

أديب القصر اوي

«نعم الطبيب هو الذي يشتري الدواء لعيادته أو يأمر بشرائه للمستشفى الذي يعمل فيه أو شراثة للوحدة الصحية التي يعمل فيها في النجوع، إلخ. ولا يشتري الدواء إلا بأمر طبيب».

محمد عثمان - نيجيريا

«ودول الخليج المساندة لهذا الانقلاب هي نفسها في مقدمة من سيتضرر بهذا الصنيع لأن مصر الإسلام السني هي قوتها الاحتياطية وخط دفاعها الخلفي من إيران التي تحطط لالتهاهما جميعا وإغراقها في المحيط الشيعي، كما هي خط دفاعها الأمامي تجاه الكيان الصهيوني الذي يخطط لإسرائيل الكبرى».

«فكما جعل الانقلاب مصر بلدا بلا استقرار واستقلال، فإن دستوره قد يجعلها بلا هوية وتاريخ ومستقبل، بل إن هذا الدستور يحوي في طياته ما سيعيد مصر إلى ما قبل الفتح الإسلامي. لقد صار حتى أقباط مصر يشعرون بهذه الحقيقة. ويظن آخرون، منهم شيخ الأزهر وحزب النور ودول الخليج، أنه انقلاب على مرسي وجماعته فقط، ولكن الحقيقة هي غير ذلك بالتأكيد، فهو انقلاب على مصر وهويتها وعلى الأمة. ومن المستغرب ألا يدرك هؤلاء المساندون للانقلاب هذه الحقيقة بينما يدرکها حتى بسطاء الأقباط منذ أول يوم».

فاروق محمد داود

«تحية لأخي المسيحي العاقل وسؤال للصليبي المتطرف ماذا تقترح بعد تصريحاتك؟ هل تتردد طرد المسلمين من مصر أم تنتظر غضبهم حتى تعلن نفسك ضحية كما تعلمت من الصهاينة كلام كثير مش عايزين نريد أفعال».

سامر علي إمبابي

«هذا لا يمت لمقال بأي صلة هذه حدوده من نسج الخيال حتى وإن كانت يقظه فالصحيح إنك لا تختزل الأقباط كلهم في قبتي طيب فقط إذا تكلموا باسم الأقباط جميعهم في هذه اللحظة سيكون لنا رد لكن بأساليبكم هذه وأمثالكم توقظون الفتنة».

أبو تاية

«المسألة ليست مسلم أو مسيحي بقدر ما هي مشكلة احترام النفس مهما كان دينها لون بشرتها أو فكرها: لأنه بالنهاية ما قيل بالتوراة والإنجيل هو ما قيل بالقرآن (ما عدا التحريفات التي وردت بالتوراة والإنجيل). فالمهم هو احترام النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق والله لا ينهي المسلمين عن أي إنسان مهما كان إلا الذين يقاثلونهم أو يظهرون عليهم أو يخرجونهم من بيوتهم، لو نعرف هذه القيمة لما قلنا «مسيحي» و«مسلم» فشخصيا ضد ترديد هذا التمييز بين الأشخاص لأنه بالنهاية يؤدي إلى تمييز طائفي من العصب التحكم به: كل له دينه».

أديب القصر اوي. القدس

«قلت هنا على هذه الصفحة قبل مدة بأن الانقلاب قام/ قائم على ثلاث دعائم هي (١) الضغط القبطي الداخلي الذي ساند الانقلاب بقوة (٢) الدعم المالي الهائل من الخليج (٣) الضوء الأخضر الصهيوني الغربي للانقلاب. ولو غابت دعامة واحدة لاختل الانقلاب حتما. الأستاذ الجوادى لم يخطئ في شيء وهو ينقل حال مصر المرير بصراحة».

أكرم الإسكندراني

«الأستاذ الجوادى يثير مسائل غاية في الأهمية. كمسلم مصري اختلفت مع أقباط وفهمت كيف يتم زرع بذرة الفتنة بيننا من جانب السلطات المصرية من خلال إجراءات خبيثة. ولكنني لا أدين المسيحي بل السلطات. ومنذ الثورة وهذه السلطات جميعاً تلعب على هذا الوتر وغيره لتوريط المصريين في صراعات مفتعلة وآخرها هذا الدستور اللقيط دستور الخيانة والفرقة والضياع».

د. طارق مصر المخطوفة

«مقال رائع وإجابة على السؤال أقول أن مستقبل المسيحيين بمصر هو مستقبل زاهر بإذن الله باستثناء النخبة المسيحية. لا مستقبل لها حيث ينتظرها محاكمات ثورية (. . .) مع التنويه أن عدد المحكوم عليهم من المسلمين سيكون أكبر بكثير من المسيحيين المتورطين في قلب نظام الحكم الشرعي المنتخب وسفك دماء الآلاف من المصريين وللعلم بابا الكنيسة كما بابا الأزهر لن تمنع الشعب المصري قوة بالعالم من تطبيق القصاص عليهم بإذن الله أما المسيحيين الشرفاء فنحن شركاء معهم في الوطن والإنسانية».

Omar El Harrache

«ما شاء الله عليك يا أستاذنا الكبير، لعل اللبيب من المصريين وإخواننا العرب المتربعين على الكنوز الزائلة يفهم».

على حمودة

«مصر التي في خاطري وطارت كالحمامة نحو أبراج اللا يمكن.

Mahjoub

«المسيحيون في مصر يكررون أخطاء المسيحيين في العراق».

Ali Abdullah

﴿وَأَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِجَتِ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ثورجي علي طول

«سوف يتم توعية المسيحيين لكن سوف تدفع الكنيسة ثمن التهور والمقامرة بمصالح شعبها».

jawad rami

«ليس المسيحيون فقط بل هناك مؤشرات تدل على مستقبل مصر من خلال خارطة الطريق لإعادة الوضع إلى ما قبل يناير بل سيكون هناك قمع سيعيد المصريين إلى سنوات نظرية فرق تسود».

راشد

«الحق والإنصاف يقتضيان أن نحیی أخونا المسيحي على هذه الأخلاق العالية وهذا الوعي المتمكّن ولا نقول له كما قال له أخواننا المسلمون الذين كانوا يتحدثون معه أنه يعيش حياة خالية من المشكلات، فليس هناك من يعيش حياة خالية من المشكلات، ثم لو فرضنا أنها موجودة، هل تثمر هذه الحياة أخلاقاً ووعياً جديرين بسلوك كهذا، إنها لا شك تجربة ورياضة كبيرين. كذلك لا نقول له أن طباعك جعلت الناس يظنون أنك مسلم، لأنه مسيحي واثبت أنه بإمكان كل مواطن أن يخدم المصلحة العامة إذا توفرت فيه الأخلاق والوعي اللازمين».

صديق

«من الغباء أن تعادى ثمانين مليون مسلماً من أصل خمسة وتسعين مصرياً ناهيك عن المحيط الإسلامي حول مصر. المستقبل لا يبدو وريدياً لمصر. فالصدام بين المسلمين والمسيحيين حتمي إذا استمر الحال على ما هو عليه».

عبد الله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِيَدَانَهُ مَن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنَتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِن أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٣] .

كريم

«والله هذا ما نسمعه في دوائرهم ومنتدياتهم عن الإسلام كطقوس بدائية آتية من الجزيرة، وهذه اللغة هي نفسها في المنتديات الإسرائيلية والأقليات الدينية في البلاد المسلمة . هناك مخطط انجلت معاملة، وهؤلاء الأغبياء من حكام وأمراء ورجال دين يتحالفون مع الأعداء، إنهم يقطعون بالمنشار الذي هم جالسون عليه!».

محمد

«على رأي أحد الساخرين «يجب أن نشكر إخواننا المسيحيين على تفضلهم بمنحنا المادة الثانية في الدستور» للأسف الشديد لقد ضحى الكثير من المسيحيين بآخر روابط «المحبة» مع شركاء الوطن المسلمين، فلن ينسى أحد شراسة ممثل الكنيسة في لجنة الخمسين في رفض كل ما له «رائحة» إسلامية في الدستور، ولن ينسى أحد مباركة الكنيسة لبحور دماء المسلمين في رابعة والنهضة ورمسيس. أعلم أن هناك بعض المسيحيين مواطنون حقيقيون يحبون وطنهم وشركاء الوطن، لكن سبقي قيادات الكنيسة هي الممثل الرسمي للمسيحيين».

ابن الصومال

«مشكلة مصر ليست السيسي أو الجيش، المشكلة هي حرب صليبية يقودها مسيحيو مصر في الخارج وفي الداخل فمتى يستيقظ مسلمو مصر ويسمون الأشياء بأسمائها».

□

الباب الخامس
الحاضر
يكشر عن أنيابه

الفصل الثالث عشر

أي حياة حزبية تحت الحكم العسكري؟

١

من بديهيات الفكر السياسي أن الأحزاب هي الركن الأساسي في الحياة السياسية في الدول الديمقراطية، ومن بديهيات ذلك الفكر أيضا أن الحكم العسكري أو الحكم المستند إلى الدبابة (كرمز للقوة والسيطرة) لا يمكن أن يجتمع مع الأحزاب في نظام سياسي واحد.

ومن ثم فإن طلائع الشبان الديمقراطيين في الثورات التي امتدت في جميع أنحاء العالم السوفياتي (كما كان يسمى)، هتفوا دون اتفاق بمضمون تلك الازدواجية البديهية التي جعلت مطالبتهم بالديمقراطية في صورة زئير واضح وقوي ومحدد ومتكرر، يهتف بسقوط حكم العسكر.

وقد حاول ساسة مصريون محدثون أن يفاصلوا أو أن يفصلوا بين هذين المعنيين المتلازمين فلم يفلحوا، مع أن المعنيين بيدوان منفصلين سياسيا كما قد يبدو - للوهلة الأولى - قابلين للمفاصلة عمليا أو مرحليا، لكن الساسة فشلوا تماما في محاولاتهم العابثة. ثم كان من مفارقة القدر أن أتاح لهم التدخل الأميركي السافر في صيف ٢٠١٣ أن يعادوا كربة المحاولة تحت مظلة أميركية (بدلا عن مظلة سوفياتية)، فنزلوا إلى الملعب دون حياء وبذلوا ماء وجوههم في هذا السبيل دون جدوى، إلا توريط أنفسهم في لعب دور موقوف ومشبوه، لوث تاريخهم تماما وجعلهم «غطاء» أو بالأحرى «وطاء» للانقلاب العسكري، ووصل تورطهم إلى المرحلة التي يصعب عليهم معها أن يزعموا بعدها التوبة أو التراجع.

٢

وهنا يجدر بنا أن نشير بحب إلى ما يقرره كثير من المفكرين السياسيين العرب - بخليط من الواقعية والسخرية - من أن كثيرا من الساسة المصريين يعتقدون - دون دليل

- في تمتعهم بقدرات خيالية خارقة في تعاملهم مع نظم الحياة المستقرة، ويصل الأمر بهؤلاء إلى أن ينسبوا إليهم قولهم إنهم -كأسلافهم من عامة المصريين- نجحوا في أن يطلوا الهواء بالدوكو .

ولما كان الهواء والدوكو شيئين متطابقين، فإن القاعدة في طلاء الأفق السياسي باللون الأيديولوجي لا تعدو أن تكون خيالاً في خيال.

ومع اعترافنا بالحدود الفاصلة بين الواقع والخيال؛ فإن الأمر لا يمنع الاعتراف بأن بعض إبداعات السياسة المعاصرين في تطويع النظم المستقرة لأهوائهم تظل في حاجة إلى كثير من التأمل في القدرة على خداع النفس.

وربما أشير إشارة سريعة إلى واقعة حديثة جدا تلخص تاريخ الخداع السياسي ومآله، فقد فوجئ متابعو زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لمصر بمذيعه التلفزيون الرسمي تشير -في صراحة ومن خلال نص مكتوب- إلى أن صداقة مصر وروسيا تعود إلى اشتراكهما!! معاً!! في تأسيس!! حركة عدم الانحياز!!.

وهكذا انهارت في جملة واحدة ودون قصد تلال الأكاذيب التي كانت تصور حركة عدم الانحياز مستقلة تماما عن الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة!! ووصل الانحياز إلى أن أحدا (رسمياً أو شبه رسمي) لم يُعَن لا بالتصحيح ولا بالتعقيب.

٣

وبالمواكبة لهذا الاعتراف الذي جاء من تيار اللاوعي؛ فإن مصر منذ شهور عادت إلى ممارسة لعبة يمكن وصف شعور النظام بها بأنها «لعبة الأحزاب الاضطرارية والإجبارية»، فالنظام الانقلابي السياسي لا يطبق فكرة الحزبية ولا يرحب بها، بل إنه -في صراحة ووضوح- سارع إلى وضع حزب الأغلبية نفسه في السجن، لكنه أصبح في الوقت الحالي مجبراً على العودة إلى ممارسة لعبة الأحزاب من أجل استحقاقات خارجية معروفة، أبرزها: الغرب الديمقراطي والبنك الدولي والمؤتمر الاقتصادي.

ومن ثم فلا بأس بمطالبات هنا وهناك بوجود أو تقبل أحزاب صناعية تفتقر إلى الروح والشكل معاً، حتى وإن بدت محتفظة ببعض الشكل فحسب، ومن المؤسف

للالنقلابيين) أن عامة الناس يعرفون - من خلال الخبرة الحديثة بالواقع السياسي - حجم هذا العبث ومنتهاه الحتمي . . .
ومع هذا يظن الانقلاب نفسه ذكيا.

٤

وربما كان الإبداع المصري في هذا المجال بحاجة إلى إضاءة سريعة تطلعنا على طبيعة المسارات والمآلات المحتملة في المستقبل القريب، فنحن نعرف - على سبيل المثال والتكرار - أنه على مدار ربع القرن الأخير (وبالتحديد منذ ١٩٩٠ حين وقفت القوى السياسية متحفظة تماما على أسلوب أداء حسني مبارك)، فإن نخبة ضئيلة العدد والتأثير من المصريين العاملين في السياسة قادوا أنفسهم إلى التعامل المرن (أو البراجماتي) مع مجموعة من التجاوزات الفجة في الحياة الحزبية التي هي ركن ركين من أهم أركان الحياة السياسية.

وإذا بهم على مدار العشرين سنة الأخيرة من عهد حسني مبارك ثم من خلفوه من المجلس العسكري والانقلابيين يتقبلون عن طيب خاطر وطيب قلب (!!) فكرة هزلية تتجلى فيما تعارف عليه الفكر والنقد واللغة واجتمعوا على تسميته بظاهرة الأحزاب الكرتونية التي لا تمثل فكراً ولا أشخاصاً، وإنما تمثل - بلغة السوق أو النشاط الاقتصادي، وعلى أقصى تقدير - مساحات إعلانية محجوزة.

وهكذا فإنه على حين كان الحزبيون الحقيقيون يبحثون لأنفسهم عن موطن قدم في الحياة الرسمية للأحزاب المصرية، فإن آخرين لا علاقة لهم بالسياسة ولا بالحزبية كانوا يجدون هذا المكان بسهولة ويسر، وكانوا يحتلونه معززين مكرمين، ولم يحدث استثناء لهذا العبث إلا بدخول الإخوان المسلمين برلماني ٢٠٠٠ و ٢٠٠٥، في دوائر لم تتمكن جهة الإدارة (على حد قول التعبير القديم) من تزويرها.

٥

ومن الإنصاف أن نشير إلى حقيقة أن المصريين المعاصرين كانوا لا يمانعون في تقبل الفكرة القائلة بأن هذا الخرق التام لفكرة الحزبية يدخل تحت مظلة القرار الوطني

واستقلاله، وأن هذا التطوير السوري والجذري في التطبيق المصري لفلسفة الحياة الحزبية ليس إلا شأنًا داخليًا وطنيًا محليًا من قبيل حريتك في اختيار طريقة الطهي داخل بيتك لأسرتك، وهو الأمر الذي يسمح لك بمخالفة أصول الطهي العالمية.

ومن ثم فإن ظواهر التشوه في أسلوبك الممارس لوضعية قديمة قد يمرر دون أدنى صورة من الصور المعبرة عن إظهار الضيق، ولا التبرم ولا الاحتجاج. وكان مما تلازم مع هذا أن تعثرت حركة ظهور أحزاب حقيقية ظلت أوراقها تتقلب حتى جاءت ثورة يناير/ كانون الثاني ٢٠١١.

وعلى سبيل المثال، فقد عانى أقطاب «حزب الوسط» المنشق أو المنشق عن الإخوان المسلمين في أن يجدوا لأنفسهم مكانًا تحت الشمس، وكان ملف الحزب يذهب إلى لجنة الأحزاب فترفضه أو تؤجله ثم تؤجله وترفضه... وهكذا، ثم يذهبون إلى القضاء الذي أقحم في السياسة - في ظاهرة ابتدعها عصر مبارك وهي ظاهرة «قضية السياسة»، أي إقحام القضاء في أمور السياسة - فإذا بالقضاء ينصفهم مرة ويحبطهم مرات... وهكذا. وهكذا.

وقد استمر بعض هذه التوجهات السياسية في المحاكم وفي لجنة الأحزاب سنوات وسنوات دون جدوى، وكان من الواضح للجميع أن هناك قرارًا فوقيًا قد اتخذ بمنع ظهور هذه الأحزاب.

٦

وقد سجلت أكثر من مرة أن هذا المنع كان مرتبطًا ارتباطًا شريطيًا وصل إلى حد القول بأنه عاش مصحوبا ومبررًا بإباحة (متناقضة) على الجانب الآخر، فقد كانت دولة مبارك نفسها تدفع ببعض محترفي العمل العام (ولا نقول السياسي) من المضمون ولاؤهم أو المقربين أو الذين تربطهم بالنظام حبال سريّة، ليؤسسوا أحزابًا يمكن وصفها بأنها كانت مضمونة التأسيس كما أنها مضمونة الولاء.

وكانت هذه الآلية تتضح بصورة كاريكاتيرية إذا ما احتاج النظام إلى جماعات ممثلي «الكومبارس» لحضور فعالية سياسية من قبيل مؤتمر الحوار الوطني أو ما إلى ذلك،

وعندئذ يهرول هؤلاء للحضور وهم يضمنون طعامًا فاخرًا ومأدبة شهية، ثم هم يضمنون (وهذا هو الأهم) فرصة للقاء الوزراء والمسؤولين، والحصول على تأشيرات مباشرة أو وعود مباشرة بدلًا من الانتظار في مكاتب السكرتارية عند هذا أو ذلك.

وفضلاً عن هذا؛ فقد كانت هناك وجهة اجتماعية لهذا الذي يتصور نفسه في صورة النبيل أو الماركيز أو البارون أو الباشا الجديد رئيس الحزب.

على أن هناك ما خفي مما هو أعظم، وهو ما كررت الإشارة إليه من أن كل حزب من هذه الأحزاب كان يتقاضى من الدولة نفسها أموالاً، ومعونات يصرفها مجلس الشورى من موازنة خاصة. هذا فضلاً بالطبع عما كانت هذه الأحزاب تحصل عليه من مصروفات سرية أو شبه سرية، ومن مميزات لا تنتهي كان المثل البارز عليها حصة من تأشيرات الحج والعمرة ورخص الصحف ..) وهي مميزات كانت تترجم إلى أموال سائلة، ويبرر تسيلها بأنه للإنفاق على الحزب .

٧

لست أريد أن أمضي في تصوير واقع الحياة الحزبية القادمة أو الانقلابية إلى ما هو أبعد أو أعمق من هذا، مع أن هذا من واجبي للتاريخ، لكنني أحب أن أصل إلى أنه حتى هذه الصورة التي عشناها منذ سنوات سوف تكون أفضل تماماً من صورة الحزبية القادمة والقائمة التي يتصور الانقلابيون أن بوسعهم أن يفرضوها على مصر بعد الانقلاب على ثورات الربيع العربي.

ذلك أن معظم هؤلاء الانقلابيين ومستشاريهم السياسيين لا يعرفون من الحزبية أكثر من هذا النموذج العنكبوتي المتناسك الذي يعتقدون أنه قابل للتكرار، بل يؤمنون عن اقتناع ويقين بأن هذا النموذج المشوه هو أقصى ما يمكنهم أن يسمحوا به، وأنه ليس للمجتمع الدولي أو الغربي أن يطلب منهم أي ضمان لحقوق الإنسان، في إطار ما يُسمى عند الغرب بالحياة الحزبية والعمل السياسي وممارسة الديمقراطية!!

□

تعقيبات

عبد الرحمن سالم

«أنا أحب هذا الشخص العالم الجليل الدكتور الجوادى وأحب أن أقرأ كل ما يكتب، لا تمّل من كتاباته، حفظه الله وبك فيه».

د. حسن النجار

«تحليل تعليمي وعقلاني للجهلاء والبسطاء والأشرار الذين يؤيدون السفاح وجاهليه الانقلاب. شكرًا لك يا دكتور جوادى لأن الوطن يحتاج إلى الارتواء الثقافي والحضاري مثلما يحتاج العيش والحرية والعدالة الاجتماعية».

مسلم عربي مصري

«بارك الله لك في صحتك وعافيتك وشفاك الله وعافاك وأدام الله في عمرك حتى ترى مصر تنعم بالحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية ويعود لها رئيسها المنتخب الشرعي محمد مرسي ودستورها ٢٠١٢ ومجالسها الشرعية المنتخبة بإذن الله».

حكيم

«يا أخي أنت تريد أن تفرط مصر وتلحق بسوريا والعراق وليبيا واليمن، بالتأكيد هذا ما تصبو إليه، وأنا بصراحة لا أثق بوعود الإخوان المسلمين فقد كنت متفهمًا لحقهم في الحكم بناء على نتائج الانتخابات ولكن بعد تجربة حماس في غزة لم أعد أثق بهم فهم لا يؤمنون بتداول السلطة ويعتبرون ذلك حرام شرعًا».

Kalandawi

«منطقة ضيقة ومحاصرة. تنداعي عليها الامم. تتساقط عليها القنابل الذكية والغبية. يمنع عنها كل شيء. تهاجمها ثمانية ألوية عسكرية لأقوى جيش في الشرق الأوسط. يتأمر عليها العدو والقريب. يدمر فيها الشجر والحجر. ورغم ذلك صامدون مرابطون منتصرون إن شاء الله. يا حكيم اتق الله. إننا نشهد الله أننا نشهد أن حكم حماس في غزة العزة أفضل شيء عرفته فلسطين المعاصرة اللهم فاشهد».

«تأسس أول حزب سياسي جديد في مصر مباشرة بعد الانقلاب وهو حزب المتصهينين و(كوّش) هذا الحزب على معظم المناصب المهمة في مؤسسات الدولة الأمنية والإعلامية والقضائية وحتى الدينية كالأزهر، وبات هذا الحزب يصف كل من يرفض الانضمام إليه بالإرهابي حتى أصبح ٨٠٪ من الشعب المصري إرهابي و١٨ دولة عربية إرهابية وحماس وتركيا ومعظم أوروبا وأمريكا إرهابيين، يعني تقريبا كل العالم إرهابي إلا إسرائيل وروسيا».

أبو عمر

«بل أي حياة أصلا تحت (حكم والعسكر) وهل العبيد يشعرون بالحياة تحت (حكم من اشترؤهم) وهل

الموت البطيء أو الموت السريري يعتبر طبيعياً؟ الحياة (تحت حكم العسكر) يعادل الموت البطيء والموت السريري للإنسان. العسكر حياتهم جحيم والاقتراب منهم مجازفة وانتحار وقاتل للنفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق. الاقتراب من العسكر هو الدنو من سجلات الوفيات فما بالك بالحياة تحت حكمهم. وهل هناك من يطيق العيش في وسط القمامات والجثث تحيط به وكل الوحوش والأفاعي تتربص به. هكذا الحياة (تحت حكم العسكر) حياة الذل والهوان والخسران والجحيم في أبشع صورته.

Tantan

«يا دكتور بدأت المقال بخطأ. الكلمة الصحيحة هي «بديهيات» وليس «بدهيات»! ثم تحركت نحو تحليل خاطيء في المنطق بإعتبار حكم الرئيس السيسي سوف يحول دون تمكين الأحزاب السياسية من القيام بدورها في العمل السياسي. الأحزاب في مصر مهلهلة نتيجة ما حدث في عصر مبارك. أما عن فهم الحزبية فلم يفهمها أحد ولم يسأل عنها أحد بما فيها الإخوان الذين ظنوا أن الحزبية تسمح لهم بالتحفظ على كل أركان الدولة!».

أحزاب غير إخوانية

«تحت ظلال الانقلاب. حزب حلال علينا البلد. حزب حب زي الرز. حزب تحيا لينا مصر. حزب تسريب على الناشف. حزب عبيد السيسي حزب "خد السلم معاه يعن معش" حزب بس اقسام بالله العظيم" حزب ماتوا وحتموتوا. حزب لا والله ما حكم عسكر. حزب الفكّة والبنك المركزي. فاصل دعاية انتخابية! س: كيف عرفت أن الإخوان لا يؤمنون بتداول السلطة؟ ج: سهلة. لأنهم لا يقبلون بنتائج الانقلابات عليهم».

العمورى محمد

«بل أي حياة تحت حكم الاحتلال والاستعمار وجنده يجب أن تنصروا الثورة يا شعوبنا العربية.



الفصل الرابع عشر قصة استدعاء النموذج الناصري

١

طوال الأيام الثمانية عشر - التي استغرقتها ثورة ٢٥ يناير حتى رحيل مبارك في ١١ فبراير/ شباط ٢٠١١ - كانت أجهزة الدولة المباركية في حوار فعلي مستمر مع الشعب، وكان الحوار الفعلي غير المشهور أكبر بكثير من الحوارات القولية المشهورة التي تمثلت أساسا في لقاءات عمر سليمان بالساسة التقليديين وبمجموعة من الشباب.

كما تمثلت أيضا وبدرجة مستقبلية أهم في حوارات بعض قادة القوات المسلحة مع من وجدوا أنهم رموز الثورة أو مع من قدر القادة الرسميون أنهم قادة هذه الثورة المفاجئة التي لم تكن في حسابهم على هذا النحو ولا في هذا التوقيت ولا بهذه الدرجة.

أما الحوار الفعلي لا القولي فقد تمثل في تحريك وحدات مقاتلة إلى الميادين التي اندلعت فيها الثورة، كما تمثل في فرض حظر التجول وتولي القوات المسلحة مسئولية حفظ الأمن والنظام بدءا من مساء ٢٨ يناير/ كانون الثاني، كما تمثل في احتكاكات مباشرة وصريحة جرت بين بعض الوحدات التابعة للقوات المسلحة وبين بعض الثوار أو المواطنين، بل تعدى الأمر هذا كله إلى حدوث بؤر صغيرة من الثورة أو التمرد في بعض صفوف القوات المسلحة في ما عرف بمجموعة أحمد شومان وما عرف بمجموعة ضباط ٨ أبريل.

وفي كل هذه الحوارات القولية والفعالية كانت بعض قيادات القوات المسلحة واعية بدرجة أكبر من ناحية البحث عن مكانها المتميز في النظام الجديد، وكانت هذه القيادات ذات الوعي الفائق بمصلحتها حريصة على أن يكون موقعها في النظام الجديد أفضل كثيرا من موقعها في النظام القديم، وكان هذا يستدعي في بعض الأحيان العمل على استرضاء القوى الثورية بكل ما هو ممكن وكل ما هو غير ممكن.

٢

ومن الإنصاف أن نذكر أن بعض هذه القيادات في ظل الطموح الجارف أفرطت في هذا الاسترضاء بما قد لا يتفق شكليا مع الصورة التقليدية للقوات المسلحة، وقد عانت هذه القيادات بعد ثلاث سنوات من نتائج المقارنة الطبيعية بين مواقعها حين كانت في حاجة إلى هذا الاسترضاء الذي بلغ حدا يمكن وصفه بأنه مثل درجة واضحة من النفاق الصريح المكشوف وبين موقفها الجديد القائم في جوهره على القهر والفرعونية والفاشية والألوهية المطلقة.

على أن الأمر لم يخلُ في كل هذه الأوضاع من البحث عن غطاء إيديولوجي يرسم العلاقة بين الطرفين، وفي هذا الإطار فقد ظهر بكل وضوح أن الاضطراب هو أبرز ما يميز الصورة الذهنية لقيادات القوات المسلحة عن حقيقة مكانتها في صنع تاريخنا المعاصر.

وكان هذا قد تجلّى بكل وضوح في مناقشة سريعة ومطولة دارت بين قيادات القوات المسلحة في ما يسمى بالمجلس العسكري، وهي التسمية التي فضلتها الثورة أو المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وهي التسمية التي حاولت القيادة العسكرية الحفاظ عليها أو فرضها على الأحاديث المرسلة، وبالطبع فقد مضت المحاولة دون جدوى حقيقية إلا في العبارات المكتوبة في الصحف المسماة القومية.

٣

وباختصار شديد، فقد كانت الصورة الذهنية المتكونة عند قادة القوات المسلحة شبيهة إلى حد كبير بالصورة المتداولة عند الجماهير، وكان هناك أربعة اتجاهات متباينة في تقرير أو تحديد الحقبة السياسية التي قامت الثورة الجديدة في ٢٠١١ لتنتهيها، ومع أن القوات المسلحة على مستوى قياداتها لم تكن بالطبع توافق تماما على أي من هذه البدائل أو الاتجاهات، فإنها كانت بحكمة السنين تؤمن وتقر بوجود هذا الاتجاه.

ومن باب التذكير ليس إلا فقد كانت هناك طائفة رأت بل أيدت فكرة أن تكون الثورة قد قامت احتجاجا على سياسة التوريث التي كانت تسير على قدم وساق من أجل وصول

كرسي الرئاسة إلى جمال مبارك بطريقة دستورية وقانونية وتمثيلية.

وبالطبع فإن قادة القوات المسلحة لم يكونوا سعداء بمثل هذه السياسة ولا متقبلين لها في قرارة أنفسهم، وإن كان قد بدا من مجمل تصرفاتهم أنهم لا يمانعون فيها، بل ربما أفرط بعض القادة في استرضاء الرئيس القادم جمال.

وإذا أردنا أن نعبر بالرقم أو نحول هذه الحقبة وهذا التوجه إلى رقم محدد من السنوات، فإننا نقول إن هذا التوجه كان يعني أن الثورة كانت ضد السنوات العشر الأخيرة من عهد مبارك أو باختصار شديد ضد سنوات حكمه في القرن الـ ٢١، مع إمكان قبول فكرة أنه كان رئيسا جيدا في العشرين سنة الأولى أو في سنوات القرن العشرين.

٤

كانت الميزة الكبرى لهذا الاتجاه في تحديد «موضوع الثورة» أنه يحفظ ماء من كانوا مشاركين في سلطة مبارك، وعلى رأسهم المشير ورئيس الأركان، بل وكل هؤلاء القادة الذين وصلوا بالفعل إلى كل مناصبهم في عهد مبارك، ومع هذا فإن القوى الثورية على مستوى الشارع لم تكن لتقبل بمثل هذا الانكماش الظاهر أو الكشكشة المقصودة في تحديد موضوع الثورة، وكانت أسباب عدم القبول من الوضوح والمنطقية بحيث يصبح من التزديد هنا وفي مثل هذا المقام تكرار الحديث عنها.

٥

كان التوجه الثاني يمتد بموضوع الثورة إلى عهد مبارك كله، ومن الطريف أن أجهزة المخابرات بكافة أنواعها ومستوياتها كانت حريصة على إبراز هذا التوجه بكل قوة، وقد قدمت مثلا أكثر من ناجح وساحق في سرعة تشويه صورة مبارك وعهد مبارك بمهمة واقتدار وعلى نطاق واسع في الصحف والمجلات والفضائيات في الخارج والداخل على حد سواء.

وكانت هذه الأجهزة تمارس تدريبا تمرنت عليه وأعدته من قبل في مطلع عهد مبارك نفسه، حين سودت كل صفحات السادات بكل ما أمكنها وما لم يمكنها أيضا، بحيث لم تنقض ستة أشهر في بداية عهد مبارك إلا وكانت هذه الأجهزة قد حولت السادات إلى إله

للشرف والإهمال والخيانة والتفريط وما إلى ذلك من تهم قاسية استندت إلى أدلة مصطنعة لا يزال أعداء السادات التقليديون ومن انخدعوا بأدبياتهم يكررونها دون حياء أو استحياء. وهكذا أصبح مبارك في لمح البرق وبتصوير أجهزته نفسها رجلا غير متدين بطيء الفهم عميلا وكنزا إستراتيجيا لإسرائيل ومشاركا في الفساد والارتشاء وعديم الكرامة والنخوة. . هذه الصورة التي لا تزال ترسم له على أيدي هذه الأجهزة والمتعاونين معها، ومن الإنصاف أن نذكر أن هذا التوجه كان أكثر حفا من التوجه السابق في القبول والانتشار والتصديق، وبلغه الأرقام فإن هذا التوجه كان يعني أن موضوع الثورة كان ثلاثين عاما هي فترة حكم مبارك.

٦

أما التوجه الثالث فكان توجهها بهلوانيا إلى حد كبير، حيث كان يعتبر أن فترة مبارك هي امتداد لفترة السادات، وأن الأربعين عاما -التي مثلت الفترة من بداية عهد السادات- مثلت ثورة مضادة على مشروع عبد الناصر، وكان هذا التصرف بهلواني يعتبر دون أي سند -غير الهوى- أن صدور دستور ١٩٧١ كان نكبة، وأن فكرة دولة المؤسسات التي نادى بها السادات ونفذها نكبة أخرى.

بل إن هذا التوجه بهلواني عاد إلى تكرار الأحاديث المموجة التي استهجنها الشعب المصري عن فكرة أن حرب أكتوبر كانت تمثيلية ساداتية ولم تكن نصرا، ووجد هذا التوجه بهلواني فرصته القديمة في إهالة التراب على إنجاز السادات السياسي وتصويره على أنه تسوية وخضوع وأمركة وعمالة.

وهكذا عاد صوت غير عقلي ليحاول أن يجد نفسه في خضم ثورة شبابية استندت إلى العقل، ومع أن هذا الرأي -الذي امتد بموضوع الثورة ليكون أربعين عاما- كان يستهدف بالتبعية الرجوع إلى عهد عبد الناصر بشعاراته الزائفة وممارسته الفاشية، فإنه كان عاجزا عن أن يصرح بهذا التوجه الذي لم يكن ليحظى بقبول أحد في ذلك الوقت الذي تطلعت فيه الجماهير السعيدة بالثورة إلى الحرية والكرامة الإنسانية، لا إلى القهر والاستعباد والشمولية والدكتاتورية.

٧

وهكذا ظل هذا التوجه يدور في حلقة الحديث الصناعي عن استقلال القرار في مقابل التبعية، وعن قيمة الوطن في مقابل أميركا وإسرائيل، وهي أحاديث سهلة وغير مكلفة تشغل المجالس والمناقشات والندوات والبرامج، لكنها في نظر الجماهير أحاديث عقيمة تجاوزتها الأحداث.

ولم يكن أمام هذا التوجه إلا اللجوء للحديث عن العدالة الاجتماعية التي تميز بها في نظرهم عهد عبد الناصر، ومن الطريف أن الجماهير لم تتقبل هذا الحديث بأدنى درجة من القبول في ظل فهمها الحقيقي للفرق الشاسع بين الخطب الرنانة والسياسات الناطقة على أرض الواقع.

ومع ذلك فلن نعدم استرجاعا لهذه الأكاذيب المدغدغة للمشاعر كلما تغنى عبد الوهاب أو عبد الحليم بأغاني الستينيات.

ومع هذا فإن حظ مصر كان أفضل من تصورات التزييف فقد أثبتت التجارب والاستحقاقات الانتخابية أن هذا التوجه الناصري المصطنع لا يحظى بأي قبول في الشارع السياسي، وأن أقصى ما يمكن له الحصول عليه من الأصوات هو ١٪ فقط رغم وضوئه وجلبته وجاذبية الكتابة عنه واستحضار أغانيه وأهازيجه وأناشيده وملاحمه وأوبرتياته.

٨

هكذا التبس التوجه الثالث الذي يحاول أن يجعل موضوع الثورة الأربعين سنة التي امتد فيها حكم السادات وخليفته مبارك، وأصبح بفضل القدرات الخبيثة (ولا نقول الذكية) للداعين إليه ملتبسا وملتبسا بالمشروع الناصري الذي قد يمكن الاعتراف بوجوده في الماضي دون قبول فكرة تكراره.

بيد أن العجيب أن آثار هذا الحديث الصناعي عن التفريق بين سنوات عبد الناصر من ناحية وسنوات السادات ومبارك من ناحية أخرى قادت من حيث لا يدري أحد إلى تقوية وتعزيز فكرة التوجه الرابع، وهو التوجه الذي سرعان ما أصبح بقدرة قادر هو التوجه الأشهر في تحديد موضوع الثورة.

وهذا التوجه هو الذي أجلنا الحديث عنه لأنه هو التوجه الذي ربح ونجح على مستوى الشارع والفكر، وقد كرس هذا التوجه نجاحه ووضوحه، بحيث لم يعد في حاجة إلى وصف أو توصيف أو تحديد أو تعليل، وإنما أصبح واضحاً وضح الشمس، متكرراً في كل صباح على نحو ما يتكرر ظهور الشمس نفسها في كل صباح، ألا وهو أن موضوع الثورة كان فترة حكم العسكر بسنواتها الستين كلها بما في ذلك الستتان الأوليان اللتان حكم فيهما الرئيس محمد نجيب بمفرده أو مع مجلس وصاية أو مجلس الثورة.

٩

ومن العجيب في المنطق البحث أن منطق التاريخ بحكم كونه منطقاً خاصاً وليس منطقاً عاماً قد انحاز تماماً إلى هذه الرؤية دون تفریق بين جمال أو أنور أو حسني أو محمد، ودون تفریق بين نصر أو هزيمة، أو بين فقدان أرض أو استعادتها، أو بين عدل أو ظلم، أو انضباط وتسيب، وإنما رأى الطريق التاريخي بمنطقه القوي أن هذه السنوات الستين على اختلاف الألوان في صباغتها تمثل قطعة واحدة من القماش القطني تختلف عما قبلها من حرير، وعما بعدها من كتان، وهكذا بات التاريخ، وقد أفنع الناس أن القماش لا يمكن أن يقطع تواصل الكتان أو الحرير، وأن ما كينة التاريخ قد مضت في طريق آخر غير الذي يجبه أو يتمناه البعض.

وليس أدل على هذا من قصة طريفة حدثت في اليوم الـ ١٧ من أيام ثورة ٢٥ يناير حين استدعت أجهزة المخابرات مقاولاً فاشلاً متعثراً وصاحب أحكام قضائية مسقطاً للاعتبار وماسة بالذمة والكفاءة، وأمرته بحزم أن يظهر بميدان التحرير في مقدمة طابور قصير من جنود يرتدون الزي المدني يرفعون صورة والده الذي كان رمزا لحكم العسكر وذهبت أجهزة التصوير التلفزيوني لتصوير هؤلاء لتسجيل مستندا، لكنها سرعان ما اضطرت إلى حذف الصوت العالي المصاحب والمحيط بحركة الطابور لأنه - أي الصوت السائد للثورة - كان يقول: يسقط يسقط حكم العسكر!.

تعقيبات

محمد وجدي

يريد أن يقنعنا الدكتور الجوادي بحسب كلامه أن النموذج الناصري لا يحقق أكثر من ١٪ شعبية لدى الناخبين! ماذا عن الـ ٢١٪ التي حققها المرشح الناصري حمدين صباحي بانتخابات الرئاسة وحل

ثالثا رغم التزوير الفاضح الذي جرى لصالح شفيق والذي غض الطرف عنه الإخوان كي لا يواجه مرسي المرشح القوي حمدين في جولة الإعادة؟! أستاذ جوادي هل أنت تصدق ما تقول؟! القراء الكرام، هل نحن بهذه الدرجة من عدم الوعي لنصدق هذا الافتراء؟! الجزيرة، إلى متى استغفال المشاهدين والقراء؟!.

الدكتور أحمد

مقال الدكتور اليوم اتسم بالوضوح واختفاء الرمزية التي طغت على كتاباته سابقا، مع الحفاظ على محورية الفكرة وتسلسل العرض وإصابة الهدف. له الشكر على التجاوب مع ملاحظتنا. تبقى رمزية المقال الفاضل! من هو يا ترى؟ من يتهم الدكتور بالانحياز والسطحية أسعده الله، ما هي العمق والحياضية التي تبحث عنها؟ الكاتب منحاز ضد العسكر، وضد العصابات التي تحكم مصر بين عسكر وتجار ووصوليين ومهرجين. لا نطلب منه الحياد هنا وإذا انحاز إلى فكر الأمة الإسلامي فلا ضير عليه! أما السطحية، فعين السخط تبدي المساويا.

عبد الله

دعونا نتفق على الحد الأدنى وهو أن حكم ناصر هو أكبر خازوق أكله العرب.

هلال أبو هلال

هم يستجلبون النموذج الفرعوني؛ أحسن لهم!.

عربي مقهور

الدكتور الجوادي دائما رائع في كتاباته وتحليلاته. وخصومه لا يعكسون إلا صورة الصم البكم الذين لا يعقلون فبعد كل البلاوي والنكسات والقهر الذي تسبب به ذلك الجاهل الفاسق عن حضارة الإسلامية والذي نفخته الأبواق الفاجرة، كما تفعل هذه الأبواق بالسيسي (الفد)، يخرجون علينا به كنموذج مع أنه ما كان إلا طبل أجوف.

جمال

السر في نجاح الثورة أو فشلها هو في كيفية فهم هذه الآية: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). عندما يشعر كل واحد أنه ليس معنيا بهذه الآية بل فقط غيره هم المعنيون بالتغيير فهذا يعني الفشل التام. النجاح هو في شعور كل شخص بأنه معني بالتغيير ومعرفة إتجاه التغيير بهدوء وصبر طويل وإلا لا شيء!.

نجم

عبد الناصر كان يدغدغ المشاعر القومية الموحدة للشعب العربي في حين أن خصومه الحاليين

يدغدغون كل الغرائز المفرقة. لذلك أحترمه ولا أحترم خصومه.

أحمد جازي

منذ الثورة تحكّم عقل مخابراتي، كيدي، تأمري على مصلحة الوطن، أثار الفوضى وزعزع الأمن وقسم المجتمع شيعا وضرب الاقتصاد وهدم المؤسسات المنتخبة والمستفتى عليها ووظف الإعلام كبروباغاندا لتزييف الوعي واستغل مؤسسات الدولة لتحقيق مصالح شخصية. ولما تمكن من الغدر بالرئيس المنتخب والانقلاب على خيار الشعب انتهك حقوق الناس والحريات العامة والخاصة، قتل وسحل واعتقل وحرق وأقصى المعارضين، واستغل الدين وأهان القضاء وضرب ثقة الناس في الدولة وأنفسهم. هذا ما فعل المجلس العسكري. أليست هذه خيانة عظيمة للوطن والشعب؟.

أبو فواز

ما أعظم كتاباتك أيها الجوادى.. المؤرخ العظيم يقول للشوار بذكاء ومهنية وحرفية كدارس للتاريخ ومتابع للحاضر وقارئ للمستقبل اثبتوا ولا تستسلموا فإن الانقلاب وقادته ليس لهم رصيد فكل حقبة أتت جرفت ما قبلها فلن ينجح أحد إن تغنى بناصر أو السادات أو مبارك.. فليس أمامه إلا الثورة والشوار فلا تحقّقوا لهم غايتهم بالتحدث باسمكم واختتم كلامه بجملة يسقط يسقط حكم العسكر لتبقى مدوية في أسماعكم.

أنيسة: القدس

سبب هزائم العرب على مدى أكثر من نصف قرن هو جريهم وراء الشعارات الكاذبة والمزيفة بداية بشعارات ناصر والسادات ومبارك ونهاية بشعار الشعب يريد تغيير النظام. للأسف هذا الشعار كان كاذبا ومزيفا وعاطفيا. ثورة مصر عام ٢٠١١ لم يحضر لها البديل العقلاني فباعت في الفشل وعاد الشعب المصري إلى جحوره وسكت مرة أخرى عن الظلم والتعسف والإرهاب والذل. كل ذلك بسبب جريه وراء شعارات ناصر والسيبي.

ابن سعيد

مقارنه رائعه بين الاسترضاء والنفاق سابقا والوحشية والفاشية حاليا. ذكرتني هذه المقارنة بمشهد إبان ثورة يناير ٢٠١١ كانت الجزيرة تنقله مباشرة من ميدان التحرير يظهر فيه متظاهر غاضب وأكثر من ستة من ضباط وأفراد الجيش يتعاملون معه بكل أدب وحب وحنان ووصل الأمر إلى قيام بعضهم بتقبيل رأسه.

أبو أحمد

بالفعل إن موضوع الثورة جاء للقيام من ستين عاما لحكم العسكر حيث ظلت البلد كما هي في

التخلف والرجعية وعدم النهوض بالمجتمع وكثر الفساد والمحسوبية . . طيلة الستين عاما. وأنا لا أنكر أنها كانت بها بعض الإيجابيات ولكن القليل وها نحن نرجع إلى الوراء مرة أخرى . . ونأتي بعسكر جديد. بل فرعون جديد. . وكأن هذه البلد معسكر للجيش ممنوع الاقتراب لأي مدني منه. . . وأخيرا لك الله يا مصر. . .

أحمد عليان

أنا أحترم الدكتور محمد الجوادى جدا وأراه رمزا حقيقيا للعدل، لكني لا أفهم معظم كلامه حين يكتب، وأجد نفسي تائها بين رصاصات كلماته.

صالح محمد حسانين

لأن السمة الغالبة لحقبة الستين عاما هي أن المؤسسة العسكرية كانت هي الحاكم وكان الحاكم دائما دكتاتورا ولم تعرف مصر خلال هذه الفترة حكما ديموقراطيا يستمع لإرادة الشعب بل كان الحاكم هو الإله الذي لا راد لأمره محاطا بجوقة من المنافقين الذين يزيدونه طغيانا ودكتاتورية.

جيش الدجال

لا فاض الله فوك حبيبي الجوادى سبحان الله كل شيء واضح ولكن هناك من يحتاج لزهنادول جرعات كبيرة ومنتالية لا بد ولا بد من إلغاء هذا الجيش بالكامل وإعداد جيش وطني أصيل لم يترب على فتات موائد أعداء الإسلام والعروبة والوطن العربي والإسلامي الواحد وعندها سترون مصر الحقيقة وليس أحلام اليقظة / والإسلام هو الحل ولو كره من كره . وشكراً.

عيسى المسيح مسلم

يجب إعادة تصنيع أصنام عبد الناصر والفكر الشيوعي الماركسي حتى يتكسر صنم الناصرية على صخور النكسات والهزائم. أعيدوا عبد الناصر حتى يتذوق العرب مرارة الهزيمة مرة أخرى (أو ٤ مرات آخر ٤٨ و ٥٦ و ٦٧).

أبو فيصل

مع كل أسف نحن تعرضنا لأكبر عملية خداع إستراتيجي للقضاء علي ثورة ٢٥ يناير المجيدة ونجحت الدولة الفاشيه البيروقراطية الدكتاتورية والتي جاءت في أعقاب انقلابي يوليو ٥٢ ويوليو ٢٠١٣ في تصفية كل وطني حر ينادي بالحرية والكرامة الإنسانية فارتكبوا أبشع الجرائم في حق شعب أعزل وجعلوا منه أضحوكة العالم بعدما أفقروه وذلوله وهمشوه علي كل المستويات؟ وجعلوا من مصر سجن كبير بداخله قرابة ٨٦ مليون مصري أو يزيد؟ هؤلاء الطغمة الفاشلة لا تريد أن تحل عن سہانا ولا تريد أن تترك للشعب أن يتنفس الحرية ومعنى الديمقراطية.

Abu Hakim

النسخة الناصرية الأصلية كانت فاشلة ولم تجلب إلا التخلف والخوف وإرهاب الشعب، عدا الدجل والخطب الرنانة وختامها كان هزيمة ساحقة أمام شراذم الصهاينة فتبخرة البطولات الكاذبة. حاربت الناصرية الله فأركسها الله وأذلها. النسخة التقليدية الجديدة أكثر فشلا وسوءاً وإرهاباً، الناصرية غطت عورتها بطلاء القومية وعداء الإمبريالية إلا أن هذه النسخة هرولت لزيارة الصهاينة سرا وعلناً وتستجدي صداقات الأمريكان ومصير الانقلابيين إلى بوار وفشل لأنهم أغبياء ويوقعون أنفسهم بأخطاء فاضحة وقاتلة أعاد الله لمصر حريتها.

ABBAS ABBAS

يبدو أن ما يصيبنا هذه الأيام هو تحكم وعودة سيئة للعسكر ما يعنى فشلنا لثلاثين سنة أخرى كما ردها السيسى نفسه بعبارته المشهورة (الجيش لو نزل الشارع أسال عن مصر بعد ثلاثين سنة تانى) وقد بدأ الفشل بزيارته لروسيا مصورا الزيارة فتتأ ونصرا ميين!! شباب الثورة كان يطمح في قائد مثل (مهاتير محمد الماليزى أو أردوغان أو أحد قادة الهند أو مانديلا أو أي إنسان صاحب فكر إلا أن الجيش أباهها إلا أن تكون عسكرية بوليسية فاشلة لصالح إسرائيل.

العمورى محمد

استدعاء النمودج «...» فتورتنا العربية من أجل العدل والحرية والديموقراطية والمساوات والشفافية وعليه قامت وضحت شعوبنا العربية ولمصر وكالدول المتقدمة المحترمة هو نموذجنا ولشعوبنا جميعا ولمصر.

وما أقدم عليه السيسى خيانة بكل أو صافها ولن نترك عملاء وجيوش الاستعمار حكما علينا ولا جماعة الإخوان يباعين القرابين.

مغربي

اللهم أكثر من أمثالك... رحم الله سيد قطب... .

فيصل

يسقط حكم العسكر بكل ماتعنيه الكلمة من منع خوضهم للانتخابات ل ١٠ سنوات قادمة ومنع تصريحات قيادات الجيش في الشأن السياسي وسحب امتيازاتهم وإيقاف جميع أشكال البننس التي تقوم بها القوات المسلحة وتسليمها إلى مؤسسات الدولة للتصرف بها وأخيرا إعادة القوات المسلحة إلى حجمها الطبيعي كمؤسسة من مؤسسات الدولة وتآمر بأمر الرئاسة ومجلس الشعب.





المحتويات

- اهداء ٥
- هذا الكتاب ٧

الباب الأول

تغيب الشرعية والإنجاز والاستقرار

- الفصل الأول: في شرعية الإجراءات الانقلابية ١٢
- تعقيبات ١٥
- الفصل الثاني: الانقلاب ومعنى الانجاز في النظم الشمولية ١٧
- تعقيبات ٢٢
- الفصل الثالث: هل أصبح الانقلاب معاديا للاستقرار؟ ٢٤
- تعقيبات ٢٩

الباب الثاني

إنهاء الامل في الديموقراطية والحزبية والشفافية

- الفصل الرابع: هل ينهي انقلاب مصر التجربة الديمقراطية ٣٢
- تعقيبات ٣٧
- الفصل الخامس: ماذا بعد الانقلاب؟ ٣٩
- تعقيبات ٤٢
- الفصل السادس: عداوة الانقلابيين للشفافية والصحافة ٥٦
- تعقيبات ٥٩

الباب الثالث

النجاحات الانقلابية الزائفة

- الفصل السابع: الفشل .. الأكثر فائدة للانقلابيين ٦٢

- ٦٦..... تعقيبات
- ٦٩..... الفصل الثامن: متى يتوقف نزيف الدم في مصر؟
- ٧٢..... تعقيبات
- ٧٧..... الفصل التاسع: الاستشمار في الإرهاب
- ٨٣..... تعقيبات

الباب الرابع

شرذمة المجتمع والبناء علي الشقاق

- ٨٨..... الفصل العاشر: هل يمكن انهاء وجود المجتمع المدني؟
- ٩٢..... تعقيبات
- ٩٥..... الفصل الحادي عشر: هل يتمزق النسيج الاجتماعي بفعل الانقلاب؟
- ١٠٠..... تعقيبات
- ١٠٦..... الفصل الثاني عشر: مستقبل المسيحيين في مصر
- ١١٠..... تعقيبات

الباب الخامس

الحاضر يكشر عن انيابه

- ١١٨..... الفصل الثالث عشر: أي حياة حزبية تحت الحكم العسكري؟
- ١٢٣..... تعقيبات
- ١٢٥..... الفصل الرابع عشر: قصة استدعاء النموذج الناصري
- ١٣٠..... تعقيبات



مَن جَاءَ
بِحَمَلِ اللَّهِ

نرصد في هذا الكتاب أبرز التشوهات الهيكلية التي تصحب الانقلابات العسكرية وتصبح في سرعة بالغة جزءاً من كيانها الحاكم؛ وسمت لأدائها المضطرب. ونستقصي من خلال وقائع التاريخ طبيعة نشأة هذه التشوهات وتحورها وتعويقها للوظائف الحيوية ثم سيطرتها على الصورة المنطبعة؛ وعلى السلوكيات المنفعلة. ونبدأ بالحديث عن الاضطراب الذي تحدثه الانقلابات العسكرية في ثلاثة مفاهيم جوهرية تصف فكرة اللاشعورية واللا إنجاز واللا استقرار ثم نتناول التشوهات الكبرى التي يحدثها الانقلاب في الحياة السياسية بما ينشئ به سريعاً مناخ الانقلاب والحياة الانقلابية وهو ما يتجلى في القضاء التام على الحياة الديموقراطية؛ وما يصحبها من حياة حزبية؛ وما تستلزمه من الشفافية وحرية الإعلام والصحافة.

نضئ العلاقة العضوية للانقلابات بما ينشأ عنها من فشل اقتصادي وبما يصحبها من نزيف الدم المستمر (في الفصل الثامن) وما يستتبع هذا وذاك من لجوء الانقلابات إلى ظاهرة توظيف صناعة إرهابية تتولاها هي من أجل الإفادة من ظاهرة كنا أول من وصفها بأنها ظاهرة الاستثمار في الإرهاب. نستعرض ما يصحب الانقلابات العسكرية ويلزمها ويلزمها من تمزق حاد وعميق في النسيج الاجتماعي من خلال عملها الدائب والمنطقي (!!)) على سرعة إنهاء وجود نشاط المجتمع المدني وعلى تمزيق مقومات النسيج الاجتماعي وعلى تسريع وتيرة الفتنة الطائفية وتهديد مستقبل الأقليات ، و نقدم إجابات صريحة عن طبيعة المستقبل غير المتوقع عند من يعيشون أو هامهم في حاضر يتمنون تطويعه بينما هو يكشر لهم عن أسوأ مستقبل حين تنتهي بصورة تلقائية مع حلول ظلال حكم العسكر و تنامي جاذبية الحنين إلى استدعاء نماذج مقيتة البطش .



كوب برس
للصباغة والنشر والتوزيع

العنوان: 16، رقة كلكتة، الهيم، اليا

toppress2@gmail.com

